حركة كولن..
تركيا تدق الأبواب

المد الشيعي حول العالم خلل الرؤية..
يضلل الموقف والقرار

دروس للعراقيين
من ثورة السوريين



www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد العدد ١١٧ ربيع الأول ١٤٣٤هـ







أزمة التشيع... أم التشيع أزمة؟!

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

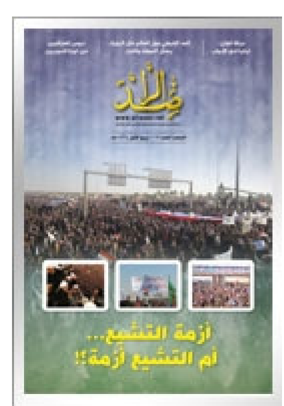
دراســـات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية تصدر بداية كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد (١١٧)

ربيع أول - ١٤٣٤ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

أزمة التشيع أم التشيع أزمة؟

كل القوى الشيعية تعاني اليوم من أزمة، ففي إيران تتفاقم حالة النقمة الشعبية الشاملة ضد النظام على كل الأصعدة الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية، فالأقليات العرقية والمذهبية تعاني من إقصاء وظلم وإجحاف، والصراع السياسي شطر كل محور ومعسكر حتى لم يعد للتقسيمات السياسية في إيران معالم أو معنى، والفقر يكاد يلتهم كل الناس سوى الدوائر الضيقة حول المرشد وأعوانه، والشعب يضج بالشكوى من انتشار الفساد بكل صوره حتى أصبحت إيران في طليعة الدول التي تعاني من مشكلة إدمان المخدرات وانتشار مرض الإيدز، ويرافق هذا ضعف الخدمات الطبية وتفاقم مشكلة التلوث فيها، ويواجه الإعلاميون فيها قمعاً كبيراً يصل لدرجة القتل.

وفي لبنان يمر حزب الله بظروف سيئة جداً بسبب موقفه الفاشي في تأييد جرائم بشار الأسد ضد شعبه ووصلت الخيانة به إلى حد المشاركة في قتل السوريين، ويرافق انخفاض شعبيته وهيمنته في لبنان والعالم تكشف العديد من الفضائح كتورطه في اغتيال الرئيس الحريري وانكشاف عدة قضايا عمالة لإسرائيل من قبل قادة في ميلشياته، وتورط أحد شخصياته وهو المدعو صلاح عز الدين في سرقة مئات الملايين من الناس عبر استثمارات وهمية، وتورط أعضاء بالحزب في فضيحة تزوير أدوية.

أما في العراق فالوضع أكثر من سوداوي، وقد نشرنا في العدد الماضي مقالاً تضمن شهادات دولية بخصوص نتائج سياسة حكومة المالكي التي جعلت العراق يتصدر قائمة الدول الفاشلة، كما أن المالكي يعمل بكل إخلاص لإنشاء إمبراطوريته الخاصة ويقصي كافة الفرقاء السياسيين وحتى الشيعة منهم، وبفضله أصبح نائب الرئيس مطارداً ومطلوباً للإنتربول! وعدد من النواب في السجون ووزراء ينتظرون إشارة منه ليصبحوا ملاحقين بتهم عديدة أهونها الإرهاب! ولأنه يؤمن بالديمقراطية وبالنموذج الأمريكي منها تحديداً، فقد أقر قانون المخبر السري في العراق الذي جعل حياة كل عراقي في مهب الريح، على غرار قانون الأدلة السرية سيئ السمعة في أمريكا!

وفي اليمن ها هم الحوثيون يقيمون دولتهم الخاصة ولو لم يعلنوا عنها، ويستقبلون شحنات الأسلحة الإيرانية، وفي حين ينشغل اليمنيون بالثورة ضد طغيان علي عبدالله صالح ودولته العميقة يتحالف الحوثيون معه ومع دولته العميقة لزعزعة الوضع وعدم خروجهم من المشهد السياسي.

أما المجرم بشار الأسد فهو لا يزال في أحلام اليقظة بكونه محبوب الشعب والرئيس المثقف والذي يكافح ضد مؤامرات الأعداء لإفشال مشروعه الفريد والنموذجي والذي ينعم في ظلاله الشعب السوري، ومن أجل الحفاظ على هذه الأوهام قتل عشرات الآلاف وشرد الملايين وهدم مدنا بأكملها وقضى على غالب البنية التحتية، ولكن مع كل هذا لا تزال الترسانة العسكرية ممتلئة لمثل هذه الملمات الوطنية! ورغم كل هذا لا يزال يحفظ حق الجوار لإسرائيل برغم كل ما يزعمه من مؤامرات إسرائيل لإسقاط نظامه الممانع!!

وبقية التجمعات الشيعية في الخليج كشيعة البحرين والسعودية والكويت تعاني من أزمات شديدة في مصداقيتها ومبدئيتها، وحقيقة ولائها ومواطنتها، فهي تصطف خلف المرشد الأعلى الإيراني في مساندة جرائم بشار، وتدير ظهرها لكل جراحات المستضعفين والمضطهدين هناك، ولا يهمها من كل الخراب السوري إلا حماية المراقد الشيعية في السيدة زينب بدمشق، والباقي ليذهب إلى الجحيم!!

وأما مرتزقة التشيع من المتحولين فقد فضحهم الربيع العربي وأظهر طائفيتهم البغيضة، ففي مصر حاول بعضهم تأسيس كيان سياسي باستغلال بعض المتصوفة، وبعضهم الآخر تحالف مع الفلول والأقباط والعلمانيين ضد الإسلاميين!! وعلى نفس المنوال يسير متشيعة تونس بقيادة (كلب آل البيت) محمد التيجاني، وفي ليبيا يجتهدون في ظل الارتباك القائم لزرع خلايا ومؤسسات شيعية لتتفتح لاحقاً!!

وبعد هذه الجولة السريعة في بيان أزمة القوى الشيعية، هناك سؤال هام يطرح نفسه بقوة وهو: هل أزمة التشيع هذه عارضة تصادف أنها تزامنت لدى كل القوى الشيعية؟ أم أن التشيع نفسه هو الأزمة، وأن الربيع العربي وإرهاصاته بربيع طهران أو الثورة الخضراء ٢٠٠٩ ما هو إلا كاشف عن أزمة التشيع هذه، وذلك حين وضع التشيع أمام الحقيقة الكبرى، وهي:

ما هي أولويات التشيع الحقيقية؟ هل هي الثورة ضد الظلم والطغيان ونصرة المظلوم؟ أم هي الحفاظ على المكتسبات الطائفية ولو تناقضت مع الحق والعدل؟

لقد كشف الربيع العربي عن جوهر التشيع وجعله عارياً أمام الحقيقة بعد أن نزع قناع التقية وشعارات الكذب على غرار: التقريب بين السنة والشيعة، والوحدة الإسلامية، ونصرة المظلومين، ومكافحة الاستكبار، ومقاومة العدوان.

إن التشيع في حقيقته وأولوياته طائفي حتى النخاع، ويكفي أن نقرأ عن استراتيجية إيران التي تجعل من طهران أم القرى[(١)] بدلاً من مكة، ولذلك يمكن التضحية بكل شيء للحفاظ على طهران، والتي تنص على أنه إذا أصبحت دولة من بين البلاد الإسلامية أم القرى، دار الإسلام على نحو تعد فيه هزيمتها أو انتصارها هزيمة أو انتصارا للإسلام كله، فإن الحفاظ عليها يأخذ أولوية على أي أمر آخر، حتى إنه في حال الضرورة يمكن تعطيل الأحكام الأولية، وقس على هذا»، وبناء على هذه المقدمة يصلون للنتيجة التالية «اليوم، وبينما الثورة الإسلامية، أسقطت حكومة

---

(١) نظرية وضعها محمد جواد لاريجاني، نشرنا في الراصد عنها عدة مقالات، انظر الأعداد: ١١٥، ١١٤، ٦٨.

الجــور والفــساد في إيــران، وحلــت محلــها الحكومـة الإسـلامية. وطبقـاً لرؤيـة سماحـة الإمـام الخمـيني ــ قـدس سـره الـشريف ــ فـإن الواجـب الرئيـسي لكـل فـرد مـسلم في الدرجـة الأولى هــو المحافظـة علـى إيـران الإسـلامية، إيـران الـتي هــي دون أدنى شك أم القرى في العالم الإسلامي».

وعلــى نفـس المنـوال نجـد نـوري المـالكي يــصرح لــصحيفة الغارديــان: «إنــني أولاً شــيعي وثانيـاً عراقـي وثالثـاً عربـي ورابعـاً عـضو في حـزب الدعوة».

ولــنفهم أولويــات التــشيع وسياســاته المعاصــرة الحقيقيــة يجـب أن نتخـذ مـن التـشيع كعقيـدة نقطـة ارتكـاز وانطـلاق لـذلك، وعنـدها سـنجد أن العقيـدة الـشيعية تعلـن بكـل وضـوح عــداءها للمخــالف وتكفيرهــا لــه ويغيــب عنهــا التـسامح وحـسن التعامـل مـع الآخـر كمـا هــو مقرر في الإسلام.

وحـين نبحـث بـصدق - ولـيس بعمـق- في الــتراث الــشيعي عــن رؤيــة التــشيع تجــاه المخــالفين مــن الأفــراد والــدول والحكومــات وخاصـة المـسلمين، سـنجد رؤيـة عدوانيـة دمويـة تفــسر لنــا دوافــع سياســات التــشيع الطائفيــة والمقيتـة التـى نعايـشها حاليـاً، وأنهـا سياسـات مقصودة وليست أخطاء أوانحرافا بالمسيرة:

❖ فمــوقفهم مــن جمهــور أهــل الــسنة أنــه حـين يظهـر مهـديهم الـذي أنـشأ لـه مقتـدى الـصدر جيـشاً باسمـه سـيقتل أو يـدفع الجزيـة – وهـذا تكفـير صـريح- كـل مـن لا يـصدقه مــن المــسلمين الــسنة بحــسب روايــة العلامــة المجلـسي: «فـإذا قـام القـائم عرضـوا كـل ناصـب (سـني) عليـه فـإن أقـر بالإسـلام وهـي الولايـة وإلا ضـربت عنقـه أو أقـر بالجزيـة فأداهـا كمـا يـؤدي أهل الذمة» (بحار الأنوار ٥٢/٣٧٣).

❖ أمــا رؤيــة التــشيع للــدول الإســلامية فتكــشفها الروايــة التاليــة: «كـل رايـةٍ ترفـع قبـل رايــة القــائم صــاحبها طــاغوت». ويــضيف المازنـدراني شـارحاً: «وإن كـان رافعهـا يـدعو إلى الحق» (شرح المازندراني ١٢/٣٧١).

❖ أمــا ولاء الــشيعة الــسياسي الحقيقــي فيوضـحه لنـا (دعـاء إعـلان تجديـد البيعـة والـولاء للإمــام الحــق الغائــب في ســردابه)!! وهــو أحــد الأدعيـة الـتي يوصـي بهـا رمـز الاعتـدال الـشيخ حــسن الــصفار الــشيعي الــسعودي في كتابــه (المهـدي المنتظـر)، ونـص الـدعاء: «اللـهم بلّـغ مولانـا الإمـام الهـادي المهـدي القـائم بـأمرك (صـلوات اللّـه عليــه وعلــى جميــع آبائــه الطــاهرين) عــن جميــع المــؤمنين والمؤمنــات في مــشارق الأرض ومغاربهــا... اللــهم إنــي أجــدد في صــبيحة يــومي هــذا، ومــا عـشت مـن أيـامي عهـداً وعقـداً وبيعـة لـه في عنقـي، لا أحــول عنهــا ولا أزول أبــداً». (بيعــة) و(عقــد) و(عهد) في صبيحة يومه، وفيما عاش من أيامه!

هــذه هــي الحقيقــة: التـشيع هـو الأزمـة، ومـا هـذه الـسياسات الـشيعية الطائفيـة المقيتـة إلا عقيـدة ومبـدأ لـن يحيـد عنـه سـاسـة الـشيعة، ومـن ظـنّ غير ذلـك فهـو جاهل لا يدرك حقيقة التشيع!!

٩- عالم الشام محمد بهجة البيطار (١٣١١/١٣٩٦هـ/١٨٩٤/١٩٧٦)

أسامة شحادة(*) - خاص بالراصد

تمهيد

يعد العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار أحد أبرز وأشهر تلاميذ العلامة جمال الدين القاسمي، وأحد رواد الإصلاح الديني والتربوي في الشام والجزيرة العربية، وقد كان رحمه الله فقيها وبحاثة ومحققا ومؤرخا ولغويا، ورغم هذا فإنه لم يأخذ حقه من الترجمة ولم يدون في سيرته إلا كتاب وحيد للدكتور عدنان الخطيب لا يفي بحق البيطار.

ولد محمد بهجة البيطار بدمشق سنة ١٨٩٤ لأسرة دمشقية عريقة تعود جذورها للجزائر قبل أكثر من مائتي عام، وعرف كثير من أفرادها بالعلم والأدب والتقوى، فوالده هو الشيخ محمد بهاء الدين بن عبد الغني حسن إبراهيم الشهير بابن البيطار والذي كان يعد من رؤوس الصوفية في زمانه والذي كان عالماً أديباً، وكان جده عالماً معروفاً تولى الإمامة والخطابة وخلفه فيها ابنه والد علامتنا محمد بهجة ، ووالدته هي ابنة عم أبيه الشيخ عبد الرزاق ابن حسن البيطار، رفيق العلامتين طاهر الجزائري وجمال الدين القاسمي.

كانت بدايته العلمية الدراسة على يد والده فتلقى مبادئ علوم الدين واللغة، ثم درس الابتدائية في المدرسة الريحانية، ودرس الثانوية في المدرسة الكاملية بدمشق والتي أسسها الشيخ كامل القصاب رفيق الشيخ المجاهد عز الدين القسام. وتعلم الفرنسية في المدرسة العيزرية النصرانية على يد المسيو موريس والذي أسلم على يد الشيخ بهجة وأصبح الأستاذ عبدالله الريحاني.

تحوله لمنهج السلف وشيوخه:

نشأ بهجة البيطار – بحسب ترجمته لجده - في عصر راج فيه «جمود على القديم، وتلقي الأقوال بالتسليم من دون تمحيص للصحيح من السقيم»، وكان أبوه من غلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود كابن عربي وابن سبعين والحلاج، وغيرهم، فنشأ على طريقة أبيه، لكن الله لطف به وهداه لمنهج السلف وذلك بواسطة جده لأمه الشيخ عبدالرزاق البيطار والذي ترك التعصب المذهبي والغلو الصوفي بعد بلوغه سن الخمسين كما ترجم بهجة البيطار لجده في مجلة المنار ونشرها في مقدمة تحقيقه لكتاب جده «حلية

(*) كاتب أردني.

البشر في تاريخ القرن الثالث عشر»، إذ توفي والده سنة ١٩١٠م وعمر بهجة حوالى ١٦ سنة، فتولى جده رعايته فترك التصوف وسار في طريق طلب العلم بالدليل وترك البدع والخرافات والأحاديث الضعيفة.

وتابع بهجة البيطار دراسة العلوم الدينية والعربية على يد جده الشيخ عبد الرزاق البيطار، وعلى رفيقه الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي الذي لازمه بهجة آخر ثلاث سنوات من حياته كما ذكر ذلك في ترجمته لجده، وحيث توفي القاسمي سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، فعلى هذا يكون بهجة البيطار تحول لمنهج السلف وعمره حوالى ١٦- ١٧ سنة تقريباً، وقد تركت هذه السنوات الثلاث على شخصية بهجة أثراً كبيراً طوال حياته، يقول ابنه عاصم البيطار: «وكان والدي ملازماً للشيخ جمال الدين، شديد التعلق به، وكان للشيخ - رحمه الله- أثر كبير، غرس في نفسه حب السلف ونقاء العقيدة، والبعد عن الزيف والقشور، وحسن الانتفاع بالوقت والثبات على العقيدة، والصبر على المكاره في سبيلها، وكم كنت أراه يبكي وهو يذكر أستاذه القاسمي».

ودرس بهجة البيطار على محدث الديار الشامية الشيخ محمد بدر الحسيني، وعلى الشيخ محمد خضر حسين التونسي والذي تولى مشيخة الأزهر لاحقاً، وقد كان مجيء الخضر لدمشق قبيل وفاة القاسمي فعوض الله به أهل دمشق عن فقد القاسمي، يحدثنا بهجة البيطار عن شيوخه والبيئة التي عاش فيها فيقول: «أستاذنا الجليل الشيخ محمد الخضر حسين، عَلَمٌ من أعلام الإسلام هاجر إلى دمشق في عهد علامتي الشام المرحومين: جدي عبدالرزاق البيطار، وأستاذي الشيخ جمال الدين القاسمي؛ فاغتبطا بلقائه، واغتبط بلقائهما، وكنا نلقاه، ونزوره معهما، ونحضر مجالسه عندهما، فَأُحْكِمَتْ بيننا روابط الصحبة والألفة والود من ذلك العهد. ولما توفي شيخنا القاسمي - تغمده المولى برضوانه - أوائل سنة ١٣٣٢ هـ لم نجد نحن معشر تلاميذه مَنْ نقرأ عليه أحب إلينا ولا آثر عندنا من الأستاذ الخضر؛ لما هو متصف به من الرسوخ في العلم، والتواضع في الخلق، واللطف في الحديث، والرقة في الطبع، والإخلاص في المحبة، والبر بالإخوان، والإحسان إلى الناس، فكان مصداق قول الشاعر:

كأنك من كل الطباع مركبٌ فأنت إلى كلِّ النفوس محبَّبُ

وأخذنا من ذلك الحين نقتطف ثمار العلوم والآداب من تلكم الروضة الأُنُف، ونرتشف كؤوس الأخلاق من سلسبيل الهدى والتقوى، ولم يكن طلاب المدارس العالية في دمشق بأقل رغبة في دروسه، وإجلالا لمقامه، وإعجاباً بأخلاقه من إخوانهم طلاب العلوم الشرعية، بل كانوا كلهم مغتبطين في هذه المحبة والصحبة، مجتمعين حول هذا البدر المنير.

وقد قرأنا عليه في المعقول والمنقول، والفروع والأصول، طائفة من أفضل ما صنف في موضوعه، وهي لعمر الحق دالة على حسن اختياره، وسلامة ذوقه، وقوة علمه، وشدة حرصه على النهوض بطلابه، وإعدادهم للنهوض بأمتهم.

وقد كنت نظمت أبياتاً جمعت فيها بين ذكر هذه الكتب، ووصف دروس الأستاذ، وجعلتها ذكرى لنفسي ولمن شاركوني في الطلب والتحصيل، عند أستاذنا الجليل، فقلت:

يا سائلي عَنْ درسِ ربِّ الفضْل مولانا الإمام
ابن الحسين التونسيِّ محمد الخضر الهمام
سَلْ عنهُ مُسْتصفى الأصول لليث معترك الزحام
أعني الغزاليَّ الحكيم رئيس أعلام الكلام
وكذاك في فن الخلاف بداية العالي المقام
أعني ابنَ رُشْدٍ مَنْ غدا بطل الفلاسفة العظام
وكذا صحيح أبي حسينٍ مسلمٍ حَبْرِ الأنام
وكذلك المغني إلى شيخ النحاة ابن الهشام
وكذا كتاب أبي يزيد ابن المبرّد في الختام
تلك الدروس كما الشموس تنير أفلاك الظلام
يدني إليك بها حقائق كل علم بانسجام

فتكون منك حقائق المعنى على طرف الثمام

فالحق عوضنا به من شيخنا شيخ الشآم

فعليه ما ذرّ الغزالة رحمة الملك السلام

وهكذا كان تحول مسار محمد بهجة البيطار بسبب بوفاة والده وتحول جده وملازمته للقاسمي ودراسته على الخضر حسين، فغدا مع الأيام بتوفيق الله ومن ثم جده واجتهاده عالم الشام محمد بهجة البيطار.

مساره العملي والدعوي والتربوي:

١- عقب وفاة والده سنة ١٩١٠ تولى البيطار الخطابة والتدريس في جامع القاعة بحي الميدان خلفاً لوالده وعمره ١٦ سنة، ثم تولى سنة ١٩١٧ الخطابة والتدريس في جامع كريم الدين الشهير بالدقاق خلفاً لخاله، والذي بقي بهجة يخطب ويدرس فيه حتى توفي، وجامع الدقاق هو مسجد الحي التي تسكنه أسرة البيطار، والذي توارث فيه آل البيطار الإمامة والخطابة لأكثر من مائة عام.

٢- في هذه المرحلة تعرف البيطار على كثير من المصلحين والقادة والمفكرين، فقد كان القاسمي وجده عبدالرزاق البيطار يتيحون له لقاء أعلام العصر حين يزورون دمشق وكانوا يذكرون أخبار طلابهم في مراسلاتهم مع أقرانهم، فهذا القاسمي يكتب للشيخ محمد ناصيف يقول: «مما قدمناه لكم: كتاب «نقد عين الميزان» للشيخ محمد بهجة البيطار، أحد ملازمي دروسنا الليلية والنهارية، وهو ممن يرجى له مستقبل علم حسن، إن شاء الله»، وكتب الألوسي للقاسمي يثني على كتاب بهجة البيطار فقال: «إني أبارك لكم وأهنيكم على أن نبغ من تلامذتكم مثل العلامة الشيخ البيطار، بارك الله فيك وفيه، وقد ألقم الرافضي الحجر، ورد منه العجر والبجر»، وقد صدر هذا الكتاب سنة ١٣٣١هـ وعمر البيطار ٢٠ سنة! ولاحظ تشجيع القاسمي والألوسي للبيطار والثناء عليه مما يفتقده كثير من المربين والمدرسين اليوم تجاه طلابهم وتلاميذهم!!

وهذا الرد من بهجة البيطار كان برضى شيخه القاسمي، وهذه الخطابات تكشف عن حقيقة وعي القاسمي بانحراف الشيعة وأن الظلم والكذب من طبعهم، فالقاسمي ألف رسالته «ميزان الجرح والتعديل» عام ١٣٣٠هـ والتي تلطف معهم فيها بل جاملهم، مما جعل بعض علماء عصره ينتقده عليها لكن الشيعة شنوا عليه حملة ظالمة، فتصدى لهم البيطار عام ١٣٣١هـ وهو في العشرين من عمره، ثم ما لبث أن توفي القاسمي في العام التالي (١٣٣٢هـ).

٣- وبسبب دعم وتوجيه وتقديم شيوخ البيطار له عند المصلحين، نجد العلامة محمد رشيد رضا بالاتفاق مع الأمير فيصل بن الحسين يكلف محمد بهجة البيطار وشلاش النجدي أن يحملا رسالة سياسية ودينية للأمير عبد العزيز بن سعود في نجد لإرساء التعاون والتفاهم و«عقد اتفاق عام بين جميع أمراء الجزيرة العربية وأئمتها الكرام دفعاً للعدوان الأجنبي»، وذلك سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م. وهذا الاختيار للبيطار هو بسبب سلفيته مما يفتح المجال لتقبلها لدى عبدالعزيز.

وقد كانت هذه المهمة الأولى للبيطار لخدمة الإسلام على يد «سيدنا الإمام» ويقصد رشيد رضا كما دونها في كتابه الذي وصف به رحلته وسماه «الرحلة الحجازية النجدية، صور من حياة البادية ١٣٣٨هـ - ١٩٢٠ م»، وواضح اهتمام البيطار المبكر بعلم الاجتماع والعمران والذي سيكون حاضراً في حياة ومنهج البيطار طيلة حياته.

وكتب رشيد رضا في المنار عن هذه المهمة في مقالاته «العبرة بسيرة الملك فيصل رحمه الله تعالى» فقال: «وذكرت له – يقصد الأمير عبدالعزيز بن سعود- فيه أنني مرسل إياه مع الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار (وهو خير ثقة من أهل العلم والصلاح هنا، فثقوا به فيما يبلغكم عني ويبلغني عنكم، وإن كان غير متمرس بالسياسة على أنني لقنته ما لا بد له من العلم به من الأحوال الحاضرة)».

وفعلاً بقي الشيخ بهجة غير متمرس بالسياسة،

ومن ذلك ما رواه الشيخ علي الطنطاوي تليمذ الشيخ بهجة عن خداع الروس للشيخ لما زار روسيا، فقال: «لقد خدع أكثر من ذهب إلى روسيا من العلماء والمشايخ، حتى شيخنا الشيخ بهجة. وكانت لي دروس ليلية في مسجد الجامعة بدمشق، وكنت أتكلم ليلة عن الشيوعية، فدخل شيخنا الشيخ بهجة. ففرحت، وقلت له: تفضل يا سيدي أهلاً وسهلاً، حدثهم عما رأيت في روسيا.

فكان مما قال: أنه لم ير عورة بادية ولا ذراعاً عارياً، ما رأى إلا الحجاب السابغ، فتأملت ووجدت أنه – غفر الله له – سيهدم عليّ ما بنيت، وينفض ما أبرمت. فسألته لأنبّه الشباب السامعين، وكم هي درجة الحرارة هناك يا سيدي؟ فقال: عشرون تحت الصفر. فأفهمتهم أن هذا الحجاب للخوف من البرد لا للحرص على الفضيلة».

وهذا لا ينقص من قدر الشيخ فقد فتح الله عز وجل له في باب التعليم والتربية ما لم يفتح له في باب السياسة، ولذلك لم يتصدر لها ويخض فيما لا يحسن، وكان مهتماً بدراسة علم الإجتماع والتعرف على أسرار الشعوب والعمران وله في ذلم مقالات مهمة في مجلة المنار وغيرها.

٤- درس الشيخ في المدرسة الكاملية وغيرها من المدارس الأهلية، ثم طلبت منه مديرية التعليم بدمشق سنة ١٩٢١، زمن تولي العلامة محمد كرد علي لها، أن يدرس في مدرسة الميدان الابتدائية الدروس الدينية والعربية والفرنسية بمدرسة خالد بن الوليد، وكان الشيخ بهجة يدرك مدى أهمية هذه الوظيفة فأقبل عليها بكليته.

ويشرح لنا الشيخ الطنطاوي نظرتهم للتعليم الابتدائي آنذاك، فيقول: «لقد عرفتم أن الذين كانوا يعملون معي أو كنت أنا أعمل معهم في المدارس الابتدائية هم من جلّة مشايخنا ومن كبار زملائنا، علماء كبار وأدباء معروفون. حسبكم أن منهم شيخنا الشيخ محمد بهجة البيطار، وشيخنا حامد التقي، وأن منهم الطبيب الشيخ رفيق السباعي... ما كنت ولا كان كثير من إخواني نعد أنفسنا معلمين فقط. وما كنا نرانا مسؤولين أمام وزارة المعارف وحدها، نطبق مناهجها ونطيع أوامرها، بل كنا نعد الجواب للسؤال يوم العرض على الله: السؤال عن تربية الأولاد على ما يرضيه، على الشريعة التي بعث بها خاتم رسله، عن تخريج أمة جديدة تؤمن بالله إيماناً خالياً من الشرك كله، الظاهر منه والخفي. تخاف الله ولا تخاف في الحق أحداً إلا الله ... كنا نلقنهم العقيدة سالمة من الشوائب، ونعودهم العبادات بعيدة عن الرياء، والسلوك الذي يحببهم إلى الناس، ولا يكرههم إلى الله».

أما سر تفرد الشيخ البيطار بالقبول بين التلاميذ فتكشفه لنا نصيحة الشيخ لابنه عاصم لما تخرج من جامعة دمشق سنة ١٩٥٢م وعزم على العمل في سلك التعليم، فأوصاه بقوله: هناك «أمر مهمّ يجب أن تضعه في حسبانك، وأن توليَه قَدْرًا كبيرًا من عنايتك واهتمامِك، هو أن تَكسبَ قلوبَ طلاَّبك، وأن تَحملَهُم على محبّتك واحترامك، فإذا ما نَجحتَ في هذا الأمر، أدّيتَ رسالتَكَ على الوجه الأكمَل الأتَمّ؛ لأن طلاَّبَك إذا ما أحبُّوكَ أحبُّوا مادّتَك واعتَنَوا بما تُقدِّم لهم من علم ونُصح وفائدة، وانتَفَعوا بها».

٥- وفي سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م طلب منه أن يمثل سوريا بالمؤتمر الإسلامي العالم الأول الذي دعا إلى عقده في مكة المكرمة الملك عبد العزيز بن سعود، لبحث قضايا المسلمين في العالم بعد إلغاء الخلافة العثمانية.

وبعد انتهاء المؤتمر طلب منه الملك عبد العزيز البقاء في مكة المكرمة للمساعدة على نهضة الحجاز بتوصية من الشيخ كامل القصاب الذي كان يتولى إدارة المعارف بالحجاز، خاصة أن البيطار في كتابه «الرحلة الحجازية النجدية» زار مدارس المدينة المنورة وكتب عن مشاهداته فيها وما تحتاجه من عناية وتطوير في مناهجها وأحوال المعلمين، كما كتب عن «المتدينة» وهم البدو الذين انخرطوا في الدعوة السلفية الوهابية لكن

بعضهم لم يجد من يعلمه حقيقة الدعوة فخلط عاداته البدوية القديمة غير المنضبطة بالشرع بالدعوة الوهابية مما أنتج خليطا مشوها من السلوك المنسوب للشرع والوهابية وهما بريئان منها، وبسبب هذا السلوك المنحرف خشي البيطار على نفسه أن يقتل إذا مر في أراضيهم، ورأى البيطار أن انتشار الدعاة والعلماء بينهم ضرورة ملحة.

٦- أسند إليه القصاب تأسيس وإدارة المعهد العلمي بمكة والذي يعتبر أول مدرسة حكومية، وبقي في إدارة المعهد خمس سنوات. وكان طيلة هذه السنوات يدرس بالحرم المكي، وتولى إمامة صلاة الظهر فيه بالنيابة في سنة ١٣٤٥هـ ، ولما زار المدينة شهراً درّس في الحرم النبوي.

وفي هذه الأثناء (سنة ١٣٤٦هـ) عين أيضاً عضواً بمحكمة مكة الشرعية الكبرى ونائبا لرئيس هيئة المراقبة القضائية، وقد رفض الشيخ راتب القضاء وبقي على راتب التعليم برغم أنه نصف راتب القضاء وذلك أن الزهد في الدنيا وزخرفها من سمات البيطار.

وفي سنة ١٣٤٧ عين أيضا مفتشاً للعلوم الدينية بمدارس الحجاز، ومدرساً للتوحيد والتربية العلمية، كما عين عضوا بمجلس المعارف العمومية.

٦- بعد خمس سنوات عاد محمد بهجة البيطار إلى دمشق سنة ١٩٣١م، فوجد أن وظيفته أسندت لغيره، وفقد عشرة أعوام من سنوات تقاعده، لكن هذا لم يؤثر عليه حيث عاد لمسجد الدقاق يؤم ويدرس ويخطب فيه، وكانت خطب الشيخ دعوة للعودة للقرآن والسنة والاجتهاد، وترك التعصب والتحذير من البدع والخرافات والشركيات، مما أدى لتغيير هائل في أهل دمشق، وممن تأثر بهذه الخطب: الشيخ علي الطنطاوي والذي يصف تفرد طريقة البيطار في الخطابة عن خطباء عصره، فيقول: «لم يكن يقرأ الخطبة من ديوان قديم كما كان يصنع أكثر الخطباء، ولا من ورقة مكتوبة يضع عينه فيها، ولا يرفع رأسه عنها، بل كان يخطب ارتجالا ولم يكن يلقي كلامه ذلك الإلقاء الملحن الممطوط الذي يسبب النعاس ويستدعي الملل، ... عرفته في تلك الأيام فوجدتني معجباً به، ولكني مخالف له، لقد وجدت أن الذي أسمعه منه يصدم كل ما نشأت عليه، فقد كنت في العقائد على ما قرره الأشاعرة والماتريدية، وهو شيء يعتمد في تثبيت التوحيد من قريب أو بعيد على الفلسفة اليونانية وهي فلسفة بدائية، وكنت موقنا بما ألقوه علينا وهو أن طريقة السلف في توحيد الصفات أسلم، وطريقة الخلف أحكم، فجاء الشيخ بهجة يقول لي: بأن ما عليه السلف هو الأسلم وهو الأحكم. وكنت قد نشأت على النفرة من ابن تيمية والهرب منه، بل وبغضه، فجاء يعظمه لي، ويحببه إلي، وكنت حنفياً متعصباً للمذهب الحنفي، وهو يريد أن أجاوز حدود التعصب المذهبي، وأن أعتمد على الدليل لا على ما قيل.

وتأثرت به وذهبت مع الأيام مذهبه مقتنعاً به، ولكن لم يكن هذا التحول هيناً ولا سهلاً، وما كنت سهل القياد ولا سريع الانقياد، بل ناضلت دون ما كنت اعتقده، وأمضيت عشرات الجلسات والسهرات في المجادلات والمناظرات، أنا باندفاعي وحماستي وعنفي، والشيخ بهجة بسعة صدره وطول أناته وغزير علمه وقوة حجته... فغدوت سلفي العقيدة متمسكاً بالدليل».

وقد كانت العادة أن الخطيب بعد صلاة الجمعة يستقبل المصلين في بيته، ويسجل لنا عاصم البيطار ذكرياته عن هذه الجلسات فيقول: «كانت تُعقَد في بيت سيدي الوالد رحمه الله (ت ١٩٧٦م) من بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع حتى صلاة العصر، وكان أركان هذه الجلسات الفتية الدائمون الأساتذة الأجلاء: عز الدين علم الدين التنوخي والشيخ علي الطنطاوي وشاعر الشام أنور العطار وأستاذنا الأفغاني رحمهم الله جميعاً. كانوا يؤدون صلاة الجمعة في جامع كريم الدين الشهير

بالدقاق، وكان والدي مدرّساً فيه وخطيب الجمعة على منبره مدةً تزيد على ستين عاماً، فإذا قُضِيت الصلاة شرّفوا دارنا، وتناولوا طعام الغداء، ثم تبدأ الجلسة العملية التي كانت روضة من رياض المعرفة. ومن الطريف أنهم كانوا يشترطون أن يكون الطعام لوناً واحداً لا يتغير، وهو (الكوسا المحشوّ) ولطالما سمعت الأستاذ الطنطاوي يردد: لا صلاة إلا في الدقاق، ولا طعام إلا الكوسا... وكان الطنطاوي بحقٍّ هو المحرك لهذه الجلسات التي استمرت أعواماً؛ وكم يحز في النفس الآن أن وسائل التسجيل لم تكن متوافرة عندنا في تلك الأيام. ولو سُجّل ما كان يدور في هذه الاجتماعات لوقفنا على كنوزٍ من العلوم والمعارف. وقد تجاوزت أخبار هذه الجلسات الأسبوعية الحدود، ووصلت إلى أسماع الكثير من أصدقاء الوالد في العالمين العربي والإسلامي، ولذا كان يحضرها علماء كبار ممن يُلمُّون بدمشق، وإنني لأذكر ممن حضر عدداً من هذه الجلسات: أميرَ البيان شكيب أرسلان، وعين أعيان جدة الشيخ محمد نصيف، والعلامة الجليل أبا الحسن الندوي، ونائب رئيس جمعية العلماء الجزائريين ثم رئيسها بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشيخ البشير الإبراهيمي الذي أقام في دمشق فترة بعد أن نفاه الفرنسيون».

أما الشيخ علي الطنطاوي فيحدث عن خطب البيطار والجلسات التي تعقبها في بيته وأثرها في الشباب أمثاله فيقول: «وكنت كلما حضرت خطبته، وانصرف إلى داره انصرف معه جماعة من الناس، فوجدوا المائدة معدة، ففي كل جمعة وليمة، ويبقون يتحدثون ويستمعون إلى الشيخ فيستفيدون حتى يؤذن العصر، فيصلوا ويذهبوا، وكنت آخذ إليه كل من عنده شبهة في الدين، أو كلام في الإسلام سمعه من غير المسلمين، فيزيل الشيخ الشبهة ويدفع الاعتراض»، والطنطاوي في موضع آخر يقول إنه حضر خطبة البيطار أكثر من ثلث قرن»، وكان هذا دأب البيطار: كرم وضيافة وتعليم.

٧- وبعد ثلاث سنوات دعته جمعية المقاصد في ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م لتدريس العلوم الشرعية والأدب في كليتي المقاصد الخيرية للبنين والبنات في مدينة بيروت، وفي نفس السنة طلبت منه وزارة المعارف التدريس بثانوية البنات ودار المعلمات بدمشق، فكان يسافر عصر الجمعة لبيروت ويعود منها مساء الثلاثاء من كل أسبوع، وقد كان بدأ في مراجعة وتحقيق كتاب «قواعد التحديث» للقاسمي بطلب من ولده ظافر، فأصبح يستغل مكوثه في السيارة والقطار بين بيروت ودمشق لإكمال المراجعة والتصحيح.

٨- ثم عين مدرسا في الكلية الشرعية في سنة ١٣٦١هـ، وبدأ يدرس تفسير القرآن من الوجهة الأدبية في دار المعلمين العليا سنة ١٩٤٢م.

وقد كان البيطار متميزاً في تدريسه للطلاب حتى قال فيه أحد الأدباء من طلابه:

وما أستاذنا البيطار إلا
وحيد الشام في علم الكتاب
فيشرح حين يشرح كل صدر
بمعنى من معانيه العذاب
ويبعث همة الآساد فينا
كان الشيخ في شرخ الشباب

٩- وبسبب حسن عمله السابق في تأسيس المعهد العلمي بمكة أعاد الملك عبدالعزيز بن سعود في عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م استدعاءه للحجاز ليتولى تأسيس دار التوحيد بالطائف لتعليم الطلبة ليكونوا قضاة ومفتين ودعاة، وبقي البيطار ثلاث سنوات هناك أسس فيها الدار حتى أصبحت ثانوية كبيرة، وقد رافقه في هذه المهمة ولداه يسار وعاصم. وقد كان للبيطار صلة شخصية بالملك عبد العزيز بل كانت من المتانة بحيث أنه شجع ويسر للشيخ علي الطنطاوي الكتابة والتواصل مع الملك.

ومن القضايا الجديرة بالبحث والدراسة هي الدور الكبير والريادي للعلماء السلفيين في دعم

ومساعدة الدولة السعودية في نشأتها، فقد كان من سياسة الملك عبد العزيز الاستعانة بالعلماء السلفيين من الشام ومصر وغيرها في إنشاء المؤسسات العلمية والدعوية والتعليمية والإعلامية والسياسية، فقد كان من رجاله العلماء الأجلاء: كامل القصاب، محمد بهجة البيطار، خير الدين الزركلي، حامد الفقي، عبدالظاهر أبو السمح، تقي الدين الهلالي، وكان لرشيد رضا دور كبير في الدعاية للدولة السعودية ومنهجها.

١٠- وبعد أن أمضى ثلاث سنوات في الطائف عاد لدمشق، فعهدت إليه جامعة دمشق في عام ١٩٤٧ تدريس مادتي التفسير والحديث في كلية الآداب، وفي سنة ١٩٥٣ أُحيل للتقاعد.

١١- لكن الشيخ البيطار بقي يقدم بعض المحاضرات في التفسير في كلية الشريعة، واستمر يدرس ويخطب الجمعة بمسجد الدقاق، وإلقاء الأحاديث الدينية والاجتماعية في الإذاعة السورية، بالإضافة لنشاطه الكبير لخدمة المجمع العلمي بإلقاء المحاضرات والإشراف على مجلة المجمع ومطبوعاته حتى وفاته، وكان البيطار قد انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٣م، وانتخب عضوا مراسلاً للمجمع العراقي سنة ١٩٥٤م. كما كان البيطار عضواً في جمعية العلماء، ثم في رابطة العلماء في دمشق.

وبدأ البيطار يكتب في مجلة المجمع من سنة ١٩٣٣م، وقد كتب مقالات كثيرة في التعريف بالكتب والمؤلفات الحديثة، ومما عرف به البيطار بحسب المسرد الذي وضعه د.عدنان الخطيب لمقالات البيطار نجد هذه الكتب: عبدة الشيطان لعبد الرزاق الحسني، الخلافة لتوماس آرنولد، بصائر جغرافية لرشيد العابري، الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد لمحمود الملاح، مذكرات سائح في الشرق العربي لأبي الحسن الندوي، توضيح الكافية الشافية لعبدالرحمن السعدي، رسائل الإيمان تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ويتضح منها سعة اطلاع الشيخ وتنوع مطالعاته.

١٢- وتقديرا للشيخ ومكانته التربوية فقد تم استدعاؤه للرياض من قبل الملك سعود بن عبد العزيز سنة ١٩٦١ للمشاركة في مشاورات تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، قدم خلالها تصوره والمنهج المقترح للجامعة. وفي السنة التالية زار المدينة المنورة وزار الجامعة واطلع على سير الأمور فيها وألقى بعض المحاضرات على الطلبة.

١٣- أتيح للشيخ زيارة الحجاز عدة مرات، وزار العراق والكويت ومصر وفلسطين والأردن وباكستان والهند وروسيا وأمريكا وكندا، وذلك لحضور بعض المؤتمرات وإلقاء بعض المحاضرات.

١٤- تميز الشيخ بزهده في الدنيا وزخارفها برغم علاقته بالملوك والرؤساء، فقد رفض تقاضي راتب القضاء بمكة واكتفى براتب التعليم برغم أنه نصف راتب القضاء، ولما أهداه الملك سيارة وهبها لدار التوحيد بالطائف، ولما صرف له المجمع العلمي بروسيا ألف ليرة لشراء الهدايا رفض استلامها، وحين دخل في شراكة لتأسيس مدرسة أهلية بعد رجوعه من الحجاز سنة ١٩٣١م وقدر أنها لم تنجح، تحمل الخسارة وحده ولم يطالب شركاه بتحمل الخسارة معه حفاظاً على صداقته بهم.

١٥- كان الشيخ آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يكن يقتصر على فئة دون أخرى، ففي حفل تأبين الشيخ المحدث بدر الدين الحسيني، حضر الحفلَ ولدُه رئيس الجمهورية السورية آنذاك الشيخ تاج الدين الحسيني ورئيس الحكومة والوزراء، عدد الشيخ البيطار في كلمته مناقب شيخه الحسيني ثم التفت نحو مقاعد الرئيس والحكومة ووجه الحديث إليهم أن الفقيد كان إذا قابل المسؤولين قال لهم: أيها الرؤساء أيها الوزراء والأمراء أيها الأغنياء: أنتم خلفاء الله في أرضه على عباده... فانظروا ماذا تقولون في خلافتكم... وعدلتم في الرعية جعلكم مع عباده الأبرار في جنات تجرى من تحتها الأنهار... وإن انحرفتم عن الطريق السوي... أدخلكم ناراً وقودها الناس والحجارة...

ثم عاد البيطار بوجهه للجمهور أمامه وقال: هكذا كان شيخنا الشيخ بدر الدين يقول تغمده الله برحمته».

١٦- كان للشيخ علاقات مع الهيئات السلفية خارج سوريا، فالبيطار كان من أوائل من تولى الفتيا على صفحات مجلة (الهدي النبوي) التابعة لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر منذ الأعداد الأولى لصدورها، وذلك من خلال علاقة البيطار ببعض علماء الجماعة مثل الشيخ عبد الرزاق عفيفي الذي كان معلماً في دار التوحيد بالطائف والتي أسسها البيطار.

وكذلك تم منح البيطار منح لقب «الرئيس الشرفي» لجمعية العلماء المسلمين بالجزائر سنة ١٩٥١م، مع بعض العلماء الأجانب الذين يشتركون معها في الفكر والمنهج والهدف، بهدف توسيع نشاطها الإعلامي ولفك حصار الاحتلال الفرنسي لها، والذين منحوا هذا اللقب: محمد بهجة البيطار (سوريا)، محمد تقي الدين الهلالي (العراق)، محمد عبد اللطيف دراز (مصر)، محمد أمين الحسيني (فلسطين)، محمد بن العربي العلوي (المغرب)، عبد القادر المغربي (سوريا)، عبد العزيز جعيط (تونس)، مسعود الندوي (باكستان)، أحمد بن محمد التيجاني (المغرب)، محمد نصيف (الحجاز).

وقد كان للبيطار علاقة وثيقة جداً بالشيخ البشير الإبراهيمي حين استقر بالشام سنة ١٩١٦م قبل عودته للجزائر.

١٧- من ثمرات هذه المسيرة الطويلة للبيطار كوكبة من العلماء الأفذاذ في مجالات علمية متعددة، فمن تلاميذ البيطار: ولداه يسار وعاصم واللذان كانا متميزين في خلقهما وعلمهما حيث كان عاصم يعد أفضل مدرسي النحو في السعودية والشام، والشيخ الأديب علي الطنطاوي، وعميد مجمع اللغة العربية عز الدين التنوخي، والشيخ عبد القادر الأرناؤوط، والشيخ محمد نسيب الرفاعي، والشيخ الألباني حيث كان يحضر دروسه مع عدد من أساتذة المجمع العلمي بدمشق، وكان الشيخ البيطار من الذين اقترحو تخريج أحاديث كتاب «منار السبيل» وهو من أهم كتب الحنابلة، فخرجه الشيخ الألباني في كتابه العظيم «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل».

ويقول الشيخ مسلم الغنيمي عن تطور حال تلاميذ البيطار: «حاول أوليائي أن يفصلوني عن الأستاذ الشيخ سعدي لأنه يتردد على الشيخ محمد بهجة، فأنا بقراءتي على أستاذ يتردد على الشيخ محمد بهجة أسيء إلى سمعة عائلتي (آل الغنيمي)، وكيف أصبح الحال اليوم من أن من تتلمذ عليه يعد مفخرة واعتزازاً، فقد تتلمذ عليه الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء والدكاترة وأساتذة الجامعات، ولم يكن هذا الفارق العظيم بين الماضي المظلم المتدثر برداء العلم، والحاضر المشرق بنور العلم والعرفان إلا بسبب جهاده ونضاله وصبره على أذى المغرضين والمتمشيخين الجهل، وسار بالدعوة إلى الله على المنهاج الذي رسمه رب العالمين لسيد المرسلين ﷺ: «ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»، فكانت النتيجة واحدة، صد وإعراض في أول الأمر، ثم دخول الناس في دين الله أفواجاً».

١٨- كانت وفاته في يوم السبت ٣٠ جمادى الأولى ١٣٩٦هـ/ ٢٩ أيار- مايو ١٩٧٦م إثر مرض لم يمهله طويلاً، فصلي عليه في مسجد الدقاق الذي أمّ فيه وخطب أكثر من سين عاماً، وشيعه خلق كثير منهم الوزراء والعلماء والأغنياء والفقراء.

١٩- أثنى عليه عدد من كبار العلماء فقال عنه العلامة البشير الإبراهيمي: «علم من أعلام الإسلام، وإمام من أئمة السلفية الحقة، دقيق الفهم لأسرار الكتاب والسنة، واسع الإطلاع على آراء المفسرين والمحدثين سديد البحث في تلك الآراء، أصولي النزعة في الموازنة والترجيح بينها ثم له بعد رأيه الخاص... والأستاذ البيطار مجموعة فضائل، ما شئت أن تراه في عالم مسلم من خلق فاضل إلا رأيته فيه... و(هو) مفكر عميق التفكير».

ورثاه العلامة محمد بهجة الأثري العراقي بقصيدة قال فيها:

علَمٌ على الذُّرُوات رفَّ كما
رف السنا وتلامح النُّوْر

العلمُ ملءُ جنانه دُفَقٌ
والعقل خلف لسانه وَقْرُ

تتألق الفصحى على فمه
زهواً كما يتألق البدرُ

عالٍ على الأهواء مُتَّشِحٌ
بحجىً له في لمحه غوْرُ

مصباحه الفرقان يتبعه
أنى أشارت آيُهُ الزُّهْرُ

ينحو ويسلك ما تفهَّمه
منه النبيُّ وصحبه الغُرُّ

ويقيم من مالوا به جنفاً
حتى يثوب إلى الهدى الصُعْرُ

كم نزَّه الإسلام من بدعٍ
قد باضها الشيطان والكفرُ

مقبوحةٍ شوهاءَ شاه بها
وجه الهدى وتلوث الطهرُ

٢٠- ترك البيطار ١٥ كتابا وتحقيقاً لبعض كتب شيوخه وفاءً لبعض حقهم عليه، كما ترك الفقيد مؤلفات عديدة وبحوثاً كثيرة نشرت له في مختلف الصحف والمجلات السورية والعربية السعودية والمصرية والعراقية. طبع بعضها مستقلاً، ومازال الكثير منها شتيتاً في باطن المجلات، أما تآليفه وما طبع منها مستقلاً من أبحاثه فهو:

❖ كتاب (قواعد التحديث، من فنون مصطلح الحديث لجمال الدين القاسمي) حققه وخرج أحاديثه.

❖ تفسير (سورة يوسف) حيث أكمل التفسير الذي بدأه السيد رشيد رضا مع التقديم له.

❖ كتاب (المعاملات في الإسلام وتحقيق ما ورد في الربا) وقد بدأه محمد رشيد رضا وأكمله البيطار ووضع مقدمته.

❖ كتاب (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) تأليف جد البيطار، الشيخ عبد الرزاق، تحقيق محمد بهجة البيطار.

❖ رسالة (الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة).

❖ بحث (الإنجيل والقرآن في كفتي الميزان).

مصادر للتوسع:

ترجمة ذاتية بقلم البيطار ملحقة بكتابه الرحلة الحجازية.

محمد بهجة البيطار، د.عدنان الخطيب.

رجال من التاريخ، علي الطنطاوي.

رجال فقدناهم، مجد مكي.

تاريخ علماء دمشق، محمد الحافظ ونزار أباظة.

الشيعة يتفرقون بعد جعفر

هيثم الكسواني(*) - خاص بـ «الراصد»

فجّرت وفاةُ جعفر الصادق، في سنة ١٤٨هـ، الخلافات بين الشيعة، واحتاروا في أمر إمامهم، واضطرب أمرُهم، كما ازدادت نظرية الإمامة تهافتاً إلى تهافتها. وجعفر بن محمد، الملقب بالصادق، يَعتبره الشيعةُ الإثنا عشرية سادس أئمتهم المعصومين، وقد نسبوا مذهبهم إليه، فغدت (الجعفرية) واحدة من التسميات التي يُعرف بها الشيعة.

جعفر ينفي أنه إمام

تعددت أقوال جعفر الصادق، والتي كان ينفي من خلالها أن يكون إماما كما كان يشيع شيعته، فينقل الباحث الشيعي أحمد الكاتب عن بعض مصادر الشيعة كبصائر الدرجات للصفار والإرشاد للمفيد أن وفدا من شيعة الكوفة جاء إلى جعفر «وسألوه: يا أبا عبد الله، إن أناساً يأتوننا يزعمون أن فيكم أهل البيت إمام مفترض الطاعة؟ فقال لهم: لا، ما أعرف ذلك في أهل بيتي، فقالوا: يا أبا عبد الله إنهم أصحاب تشمير وأصحاب خلوة وأصحاب ورع، وهم يزعمون أنك أنت هو؟ فقال: هم أعلم وما قالوا، ما أمرتُهم بهذا».

اضطراب بعد جعفر

وبالرغم من ذلك إلاّ أن الشيعة اعتبروا جعفرا الصادق إماما معصوما، وغلوا فيه وفي باقي الأئمة غلوا كبيرا، وبعد وفاته اضطرب أمرهم اضطرابا كبيرا، على الرغم من أنهم يقولون إن الإمام معيّن من الله، وإنه ينصّ على الإمام الذي يليه (كما سيأتي بيانه)، ومع ذلك فإن هذه المزاعم لم تمنعهم من الاختلاف والاضطراب، فقد ذهب الشيعة في الإمامة بعد جعفر الصادق مذاهب شتى، وساقوها إلى أشخاص عديدين، وانقسموا إلى فرق عديدة:

١- فرقة زعمت أن جعفرا لم يمت، وأنه هو المهدي المنتظر، وادّعت أنه قال: «إن جاءكم من يخبركم عني أنه مرّضني وغسلني وكفّنني فلا تصدقوه، فإني أنا صاحبكم صاحب السيف». وعُرفت هذه الفرقة باسم «**الناووسية**» نسبة إلى رئيس لهم من أهل البصرة اسمه عجلان بن ناووس.

٢- وفرقة أقرّت بموت جعفر، ونقلت الإمامة إلى ابنه محمد، زاعمين أن جعفرا هو الذي أوصى بها لابنه هذا، وقالوا بأن محمدا دخل ذات يوم على أبيه وهو صبي صغير، فقام جعفر وقبّله، ومسح التراب عن وجهه، ووضعه على صدره، وقال: «سمعت أبي يقول: إذا ولد لك ولد يشبهني، فسمّه باسمي، فهو شبيهي وشبيه رسول الله ﷺ وآله وعلى سنته». وعُرفت هذه الفرقة باسم **السميطية** أو **الشميطية**، نسبة إلى رئيس لهم يسمى يحيى بن سميط أو شميط.

٣- وفرقة ثالثة ساقت الإمامة إلى عبدالله، وهو أكبر أبناء جعفر الصادق، ولُقّب هؤلاء بـ «**الفطحية**» لأن عبد الله كان أفطح الرجلين، ونَسب أتباعه إلى أبيه وجدّه أنهما قالا: «الإمامة في الأكبر من ولد الإمام». واستندت الفطحية في اعتقادها بإمامة عبد الله بأنه احتل مقام الإمامة بالوصية والكبَر والجلوس مجلس أبيه.

كما عُرفت هذه الفرقة باسم «**العمارية**» نسبة إلى زعيم منهم يسمى عمّارا. ولأن عبد الله مات بعد أبيه بسبعين يوماً دون أن يخلف ولدا تستمر الإمامة في ذريته، فقد تراجعت هذه الفرقة عن القول بإمامته، إضافة إلى أنها وجدته غير كفؤ للإمامة.

ويقول أحد كبار الشيعة في ذلك الزمن، وهو هشام بن سالم الجواليقي، إنه دخل على عبد الله الأفطح مع مجموعة من الشيعة، وإنهم سألوه بعض المسائل الفقهية

(*) كاتب أردني.

فلم يُجبهم بصورة صحيحة، مما دفعهم إلى التشكيك بإمامته والخروج من عنده حيارى ضلالا »... فقعدنا في بعض أزّقة الكوفة باكين حيارى لا ندري إلى أين نتوجه ولا من نقصد، ونقول: إلى المرجئة؟.. إلى الزيدية؟.. إلى المعتزلة؟ .. إلى الخوارج؟..».

٤- وفرقة قالت بأن الإمام بعد جعفر هو ابنه إسماعيل، رغم أن إسماعيل مات في حياة أبيه، ونفوا بأن يكون إسماعيل قد مات في حياة أبيه، إنما كان ذلك من جهة التلبيس من أبيه على الناس، لأنه خاف فغيّبه عنهم، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض، ويقوم بأمور الناس، وأنه هو القائم، لأن أباه أشار إليه بالإمامة بعده. وتعرف هذه الفرقة باسم «**الإسماعيلية**» وما يزال لأتباعها وجود لغاية اليوم.

٥- وفرقة خامسة صرفت الإمامة إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر، قائلة إن الأمر كان لإسماعيل في حياة أبيه، لأن جعفرا نصّ عليه في حياته، فبقيت الإمامة في عقبه، فلما توفي قبل أبيه جعل جعفر الأمرَ لمحمد بن إسماعيل، ولا يجوز غير ذلك، لأن الإمامة لا تنتقل من أخٍ إلى أخٍ بعد الحسن والحسين رضي الله عنهما.

٦- وفرقة ساقت الإمامة بعد جعفر إلى ابنه موسى، الملقّب بالكاظم (ت ١٨٣هـ)، وسُموا **بالموسوية**، وفيهم يقول عبد القاهر البغدادي: «هؤلاء ساقوا الإمامة إلى جعفر، ثم زعموا أن الإمام بعد جعفر كان ابنه موسى بن جعفر، وزعموا أن موسى بن جعفر حيٌّ لم يمت، وأنه هو المهدي المنتظر..». وقد نُسبت هذه الفرقة أقوالاً إلى الصادق تزعم أن موسى الكاظم هو الإمام بعد أبيه، منها: «إن موسى هو القائم وهذا حتم من الله».

ويبين الباحث أحمد الكاتب أن الإمامية لمّا وجدوا الكاظم لا يدعو إلى نفسه ولم يكن عليه أي نص خاص من الله أو من أبيه، فقد لجؤوا إلى سلاح المعجزات وادعاء معرفة الكاظم علمَ الغيب، ليثبتوا (الارتباط الخاص بالسماء) للكاظم، وتحديده من بين إخوته كوريث شرعي ووحيد للإمام الصادق.

ولذلك زعموا أنه لم يكن يخفى عليه كلام أحد من الناس، ولا منطق الطير، ولا كلام شيء فيه روح، وقد قال الكليني: «إن الإمام الكاظم كان يعلم متى يموت الرجل ويخبر أصحابه بذلك، كما يخبرهم بمصائرهم في المستقبل».

الإمامة على المحك

لم يكن الخلاف الشديد حول شخصية الإمام الذي يلي جعفرا الصادق إلاّ واحدا من الأمثلة الكثيرة على اضطراب نظرية الإمامة عند الشيعة، وتهافتها، برغم زعمهم أن الأئمة الإثنى عشر معيّنون من الله، وأن الإمام ينصّ على مَن يليه من الأئمة، و«أن الإمام لا يغسله إلاّ الإمام»..

ويرى الشيعة أن الإمامة أصل من أصول الدين، وأن الذي ينكر الأئمة أو واحداً منهم كافر، وهو كمن ينكر نبوة محمد ﷺ ويعصيه، وقد زعموا أن النبي ﷺ قال: «الأئمة من بعدي إثني عشر، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، وآخرهم القائم، طاعتهم طاعتي، ومعصيتهم معصيتي، من أنكر واحدا منهم فقد أنكرني».

ويقول شيخهم يوسف البحراني في كتابه «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة»: «وليت شعري أي فرق بيْن من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله، وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين».

فإذا كانت الإمامة بهذه الدرجة من الأهمية عند الشيعة، وكان منكرها كافرا، وكان المنكر لواحد من الأئمة كالمنكر لرسول الله ﷺ فكيف يريد الشيعة من الأمة – كي لا تصبح كافرة - أن تؤمن بإمام لم يجمع عليه الشيعة، واختلفوا فيه اختلافا كثيرا؟!

الأزمة تتكرر اليوم:

الآن تتكرر أزمة الإمامة من خلال أزمة الولي الفقيه بعد علي خامنئي، حيث يدور صراع مكتوم على وراثته وخلافته، وتتنوع الخيارات بين ابنه مجتبى، أو بعض الشخصيات المتطرفة والغالية مثل آية الله مصباح يزدي، وبين من يطرحون الولاية الجماعية لعدم توفر شخص تجتمع فيه مواصفات الولي الفقيه، وسنشهد قريباً – بعد وفاة خامنئي المريض- نتيجة هذه الصراعات التي ستكتب فصلاً جديداً في مسار التشيع التاريخي.

للاستزادة:

١- الفرق بين الفرق – عبد القاهر البغدادي.

٢- تطور الفكر السياسي الشيعي – أحمد الكاتب.

٣- الإسماعيلية تاريخ وعقائد – الشيخ إحسان إلهي ظهير.

٤- مع الإثنى عشرية في الأصول والفروع – د. علي السالوس.

حقيقة الشيعة – عبد الله الموصلي.



تقرير عن الحراك السني في العراق

عبد الهادي علي(*) - خاص بالراصد

مرت قرابة عشرين يوما لحد كتابة هذا التقرير على ظهور حراك سني في العراق، على إثر عملية اعتقال عناصر حماية وزير المالية رافع العيساوي وهي الحادثة التي لم تكن إلا القشة التي قصمت ظهر البعير؛ فحراك اليوم لا علاقة له البتة بحادثة العيساوي؛ ولقد تطور الحراك يوما بعد يوم مثل كرة الثلج حتى غدا اليوم على ما هو عليه، ولم يدر في خلد حكومة المالكي في أول الأمر أن الأمر سيتطور إلى ما آلت إليه الأمور اليوم، ولذلك سارع بعض أصدقائه وأتباعه بنصحه ألا يكرر خطأ بشار والرؤساء المخلوعين القذافي وعلي صالح وحسني مبارك خاصة بعد تلويحه ببعض التهديدات الحمقاء.

لقد بدأ الحراك في محافظة الأنبار وهي المحافظة التي تحسب لها الحكومة الشيعية ألف حساب، ومنها انتقلت الشرارة إلى محافظة صلاح الدين وبالتحديد إلى مدينة سامراء التي يطمع الشيعة للسيطرة عليها وتحويلها إلى (محافظة سامراء المقدسة)، لذا فإن أسباب ودواعي ثورة أهالي سامراء قديمة وليست حديثة أو مرتبطة بحادثة حماية العيساوي، لكنها كانت فرصة تم استثمارها.

وسامراء مدينة متميزة في محافظة صلاح الدين من حيث القدرة على حشد الجمهور، وتبعتها محافظة نينوى في التحرك فتصدت لها قوات الحرس الوطني الشيعي ولكن أهالي نينوى تغلبوا عليها، ثم انتقل الأمر إلى محافظة ديالى وحاولت الشرطة منعها بأي ثمن لكن الأمور مضت بعكس مراد الحكومة الشيعية، ورافق ذلك تحرك مماثل في كركوك.

أما في العاصمة بغداد فقد حاولت منطقة الأعظمية الخروج واستعدت لذلك إلا أن الحكومة بذلت الكثير من أجل منعها من الخروج ونجحت في مسعاها، إلا أن منطقة الدورة كسرت الحصار وتمكنت من التظاهر وتأييد الحراك. هذه هي صورة الوضع في العراق، والكل يترقب هل سيكون الحراك العراقي ربيعاً سنيا أم شتاء صعباً مجهول العواقب.

من أجل استطلاع حقيقة الحراك في المحافظات العراقية كانت هذه المقابلات الخاصة «للراصد» مع عدد من الناشطين فيه لتوضيح الصورة وشرح المطالب، وقبل الخوض في ذلك لابد من أن ننبه إلى أن الحراك لم يكن وليد حادثة حماية العيساوي فثمة ثلة من الشباب العراقيين في الخارج والداخل يعملون منذ أكثر من سنة هذا لمثل هذه الانتفاضة الشعبية ، ونذكر على

(*) كاتب عراقي.

سبيل المثال لا الحصر (**الحراك الشعبي السني في العراق**) بقيادة **السيد عبد الله الدوسري**، والذي بذل جهدا متميزاً مع فريق كبير من الشباب للتمهيد والدعم لهذا الحراك عبر شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي وهي الجهود التي ساهمت في ما نراه اليوم. وفي لقاء خاص معه حول مطالب الحراك قال:

«**يجب عدم إهمال أي جهد يساعد الحراك العراقي**، مع رعاية وتطويل الجهود القائمة»، كما أنه اشتكى من عدم تواصل وتفاعل النخب العراقية، رغم أنها وحدها من تؤثر في حركة الشارع وتضبطه، وشدد على وضع استراتيجية شاملة وواضحة لإدامة الانتفاضة وفهم لعبة التغيير، والحرص على إدامة زخم الانتفاضة في الشوارع والميادين وعدم الركون للتواجد في العالم الافتراضي على شبكة الإنترنت.

وفي حديث مع أحد ناشطي محافظة الأنبار قال:

لا بد من المحافظة على سلمية الانتفاضة لأن حكومة المالكي هي من تريد عسكرة الحراك لضربه عسكريا والقضاء عليه، وأهمية الحفاظ على وطنية الانتفاضة لأن المالكي يريدها طائفية، ولابد من الاستعداد لسيناريو الاعتداء بالقمع الوحشي والعسكري على الحراك، وحذر من خطورة فشل الحراك لأن هذا يعني الدخول في مرحلة من القمع الشديد بما يفوق ما يحصل حالياً بأضعاف كثيرة، وأهمية كشف زيف الحكومة الصفوية إعلاميا، وضرورة وحدة صف أصحاب الحراك.

أما محافظة ديالى فقد شرح لنا أحد الناشطين وضع المحافظة بقوله:

إن وضع ديالى له خصوصيتهبسبب قربها من إيران، وتتواجد بها قواعد أمنية قوية جدا وولاؤها للحكومة الشيعية وليس للدولة العراقية، كما أن ديالى تعتبر المحافظة الاولى من ناحية عدد المعتقلين الذين قضى بعضهم تحت التعذيب يقدر البعض عددهم بـ ٤٠ سنياً، والحكومة تحرص على أن لا تطلق سراح اي معتقل من ديالى.

وتمكن أهالي مدينة جلولاء من تنظيم مظاهرة مؤيدة للحراك وذلك بسبب قربها من المناطق الكردية، كما تم عقد مؤتمر حضره ٢٠٠ داعية وعالم من كل الأطياف السلفية والإخوان والصوفية من أجل المطالبة بحقوق المعتقلين، ويرى ضرورة الاستمرار في الحراك لأنه فرصة سانحة ومهمة لأهالي ديالى.

أما أحد المتابعين من مجلس علماء العراق للحراك وهو من الحزب الإسلامي فقد سمى الانتفاضة أو الحراك بانتفاضة (العمامة) لكثرة الأئمة والخطباء المشرفين على تحفيز الأمة للتحرك ضد الطغيان الشيعي.

وقال : إن الانتفاضة باعتراف الجميع كانت من الأنبار، وجارٍ تشكيل لجان في عدة مناطق، أما مدينة سامراء فقد شهدت تعاونا وتنسيقا جيدا بين العلماء والسياسيين هناك، وإن بغداد وديالى تعانيان من وضع صعب لشدة قمع الحكومة، وإن أهل بغداد لا خبرة لهم بهذه المظاهرات مثل أهل الأنبار وسامراء فلا بد من تأهيل وتدريب الشباب على ذلك والاستفادة من خبرات إخوانهم في المحافظات الأخرى، رغم ذلك استعد أكثر من ٣٠ خطيبا في مدينة بغداد للخروج بمظاهرة داخل بغداد، وركز على عدم الاستعجال للظهور في بغداد.

إن غاية هذا الحراك السلمي هو رفض ظلم وطائفية الحكومة، ولا تراجع عن هذا الطريق، وإن على أهل السنة أن لا ينجروا لمواجهة عسكرية إلا بعد سقوط بشار الأسد، وإن أهل السنة هم

الأصل في الأمة وهم مستعدون دائما للتعايش مع الآخرين بخلاف غيرهم.

ولقد تم تحذير كل السياسيين أن لا يجيروا الحراك لمصالحهم الشخصية أو الحزبية وإلا حصل لهم كما حصل لصالح المطلك، وإن الحاجة لخطاب وطني في المناطق المختلطة لا يلزم منه التخلي عن مطالبنا السنية في المناطق الخالصة لأهل السنة.

وعن حراك نينوى قال لنا أحد الناشطين:

إن أهل نينوى متأثرون بمحافظة الأنبار، وهناك دور عشائري كبير ومهم، ودور العلماء وأصحاب العمامة واضح ومتميز في قيادة الحراك، وإن الاتحادات الطلابية هي الأنشط في تحريك مدينة الموصل التي هي مركز المحافظة.

وحذر الناشط من الفرقة والاختلاف لأنه مرض فتك بالمقاومة وبالسياسيين السنة وسيفتك بالحراك كذلك، ومن وجود مندسين يحاولون التحرش برجال الأمن لخلق صراعات جانبية تجهض الحراك، وحذر من محاولات تنظيم القاعدة لاختراق الحراك.

أما الناشط في محافظة كركوك فقال:

لقد جرت تظاهرة تضامن مع بقية المحافظات عقب صلاة الجمعة وكان عدد المشاركين محدودا بسبب إجراءات الأجهزة الأمنية، حيث قامت الفرقة ١٢ بتفريق المتظاهرين ومنعهم من الوصول إلى مكان التظاهر، كما جاءت مجموعات شيعية للمكان ورفعوا أعلامهم السوداء.

ويرى عدد من المنسقين للحراك في جميع المحافظات:

أن الخروج الأولي كان بطريقة عفوية وحقق نتائج كبيرة ومشجعة وذلك تحت قيادة العلماء وطلبة العلم من أهل الاعتدال للحركات في كل المحافظات، لكننا اليوم بحاجة إلى من يجيد التخطيط لإدارة العصيان المدني والمقاومة بأساليب اللاعنف، وهناك حاجة لتدويل قضية الحراك العراقي ضد الظلم الشامل من حكومته الطائفية ضد كل أطياف الشعب العراقي، والعمل على إيجاد جبهة وطنية لإنقاذ وتحرير العراق، وأن استمرار فعاليات الحراك سيضمن دعم المجتمع الدولي له.

ونبه على أن هناك من يحاول تجيير الحراك لمصالحه الشخصية وهذا ضار بالحراك، كما لابد من الاستمرار بتجنب الطائفية واحتواء بعض أهل الجنوب من الشيعة وطمأنة الشرفاء من أهل الجنوب بأن الحراك غير طائفي ولا يهدف للانتقام والثأر.

وأضاف الناشط: هناك عدم وضوح للموقف الكردي من الحراك، وإن مواقف البرلمانيين السنة العرب في كركوك مواقف سيئة!!

هذه هي مجمل الأوضاع الميدانية للحراك في العراق، نسأل الله أن يحرر العراق من هذه الطغمة الفاسدة الشيعية وأن ينصر أهل العراق.

الحراك السني... نظرة عامة

كل ما تقدم ما هو إلا توصيف سريع لحال الانتفاضة العراقية بعد مضي ثلاثة أسابيع على انطلاقتها، إن دواعي الثورة والانتفاضة قائمة ومتوافرة بكثرة في العراق، فالظلم عمّ جميع المكونات والطوائف لكنه تركز على أهل السنة ولذلك تحمل السنة راية الانتفاضة وقادوها.

ولن يخرج الحراك الشعبي في العراق عن صبغته السنية لأن التوازن المفقود سببه إقصاء السنة عن موقعهم وتحييدهم عن مكانهم اللائق بهم في قيادة العراق.

وهذا الأمر يدفع الشيعة باتجاهه بسببهم عُقدهم الطائفية وعدم قدرتهم على استيعاب السنة وإعطائهم شيئا من حقوقهم الأساسية، وقد رأينا كيف تجمع السياسيون الشيعة (أطياف التحالف الوطني الشيعي) واحتشدوا وتوحدت مواقفهم في

وجه المظاهرات ومطالب الحراك الشعبي، بعد أن كانت الخلافات بينهم في أعلى مستوياتها بسبب استئثار المالكي بالسلطة.

إن المبشرات التي يحملها هذا الحراك كثيرة ومن أهمها أنها المواجهة الأولى بين الجماهير السنية والسياسات الشيعية، فنتائج الجولات السابقة كانت تميل لصالح الشيعة لأن السنة لم يمثلهم طرف يحمل همومهم وقضيتهم دون أجندته الخاصة وينطلق في عمله من حاجتهم بعيداً عن مثاليات الوطنية وأحلام الوحدة التي كفر بها الشيعة ونسفوا أسسها منذ زمن بعيد.

فإذا حافظ الحراك الشعبي على تماسك صفه ومنع تسلل الغرباء والدخلاء وأصحاب التوجهات الحزبية، وواصل الثبات كما فعل أهل الشام فإن هذه الثورة ستكون الصخرة التي تتكسر عليها أطماع حزب الدعوة بإخضاع العراق للحكم الشيعي والإرادة الإيرانية.

دروس للعراقيين من ثورة السوريين

سليمان نزار(*) – خاص بالراصد

لعل تعدد أوجه الشبه بين الحراك العراقي الذي بدأ بالأنبار نهاية عام (٢٠١٢) وثورة الشام (٢٠١١) توجب على عقلاء الأنبار النظر في التجربة التي سبقتهم لاسيما وهم في بداية نضالهم الثوري وسعيهم نحو الحرية والعدالة، وذلك من أجل شحذ الهمة والاستفادة من الخبرات والتجارب وتلافي الأخطاء قدر المستطاع لنصل بعد ذلك إلى المرحلة المتقدمة وهي التعاون والتنسيق بين الثورتين من أجل تكامل الجهود وتقاسم العمل والسعي من أجل هدف مشترك يجمع خير الدارين والظفر للفريقين.

وسنعرض بشكل سريع أبرز القواسم المشتركة بين الثورة العراقية والثورية السورية:

١- قامت الانتفاضة في كلا البلدين (العراق وسوريا) ضد أنظمة شيعية عنصرية يقودها الحقد الأعمى والحنق على أهل السنة، ولها سجلات ضخمة من جرائم التطهير الديني ومذابح الإبادة فضلاً عن بحار الفساد المالي والإداري التي غمرت كل مؤسسات الدولة وصيّرتها إلى أدوات بيد أبناء الطائفة.

٢- كانت الانطلاقة لكلا الثورتين انطلاقة عفوية دون سابق إعداد وتخطيط وتنظيم كما حصل في ثورات تونس ومصر، وهي ردة فعل على عدوان وطغيان الحكم الشيعي العنصري، وهذه البداية قد توهم المراقب أنها مجرد فورة وهبّة شعبية سرعان ما تخبو نارها ويضعف حماسها ويتفرق أهلها.

٣- كلا الثورتين رفعتا في البداية مطالب أساسية وحقوقا طبيعية لأي مواطن، لكنها تطورت إلى المطالبة بإسقاط النظام ورحيله بكافة رموزه وأدواته وميليشياته، بسبب تعذر الإصلاح في بناء قد تأسس على الفساد وشُيدت قوائمه على الظلم والاستئثار والبطش بالمخالف.

٤- كلا الثورتين أحدثتا رعباً في صفوف فرقاء الطائفة الشيعية مما دفعهم للاتحاد والاتفاق ونبذ الخلاف الداخلي والصراعات الجانبية من أجل القضاء على الثورة والصحوة السنية.

٥- كلا الثورتين رفعتا الشعار الديني الإسلامي بعد أن ظن الكثير أن الغفلة والغفوة والجفوة عن الدين قد هيمنت وسيطرت وأن النفاق قد استشرى، وأن السنة قد رضوا للتشيع أن يقتحم مدنهم ويعبث بمصائرهم وأبنائهم وأرزاقهم ويبدل دينهم.

هذه هي ملامح التشابه بين الثورتين الشامية

(*) ناشط في الحراك الشعبي السني في العراق.

والعراقيـة، ومـع هـذا التـشابه في المحنـة والمعانـاة والمأسـاة فـإن حظـوظ العـراقيين الـسنة بالنـصر بأقـل الخـسائر تبـدو أكـبر مـن حظـوظ إخـوانهم في الـشام، وذلـك لعـدة عوامـل سنوردها علـى وجـه الإيجـاز ونـبين أهـم نقـاط القـوة الـتي يملكهـا ثـوار العـرب الـسنة في مواجهتهم القادمة:

١- لقـد مهـدت الثـورة الـسورية الطريـق أمـام الثـورة في الأنبـار والعـراق، ولنـا أن نتخيـل حجـم المـأزق الـذي سـتعانيه ثورتنـا لـو كانـت سـوريا تحـت قبـضة النظـام العلـوي الأسـدي، الـذي كـان سـيعمد إلى خنقها وإفشالها بشتى الطرق.

٢- بـالرغم مـن إجـرام حـزب الـدعوة ونـوري المـالكي وتنكيلـه بأبنـاء الـسنة إلا أن قدراتـه العـسكرية وسـلطاته الأمنيـة مـا زالـت ضـعيفة مقارنـة بـأجهزة الأمـن والمخـابرات الـسورية العلويـة والـتي ترسـخت عـبر عـشرات الـسنين، وهـذا يمـنح الثـورة في العـراق مـساحة أكـبر للتحـرك وحريـة أوسـع بعيـداً عـن اتخـاذ أسـاليب صـعبة ومعقـدة للنهـوض بـالحراك الشعبي.

٣- مـا زال النظـام الـشيعي العراقـي يفتقـد القـوة الجويـة الكافيـة لقمـع التظـاهرات والاعتـصامات وضـرب المـدن المنتفـضة، وهـذا مـا سيـضطره إلى العمليـات البريـة الـتي غالبـاً مـا سـتكون محـسومة لصالح الثوار بإذن الله.

٤- لأبنـاء العـرب الـسنة وأبنـاء الأنبـار خاصـة خـبرة طويلـة في الحـروب النظاميـة وحـروب المـدن والعـصابات بفـضل مقـاومتهم للاحـتلال الأمريكـي والميلـشيات الطائفيـة، بخـلاف أهـل الـشام الـذين أجـبروا علـى حمـل الـسلاح وهـم يفتقـدون الخـبرة والعـدة والعتـاد، فالانتقـال مـن «المدنيـة الـسلمية» إلى «العـسكرية المـسلحة» أسـهل وأيـسر علـى أهـل العراق.

٥- لا يعـاني الحـراك الثـوري في العـراق مـن غربـة مـا عانـاه الثـوار الـسوريون في البدايـة، فالـشعب في سـوريا خـرج وهـو يفتقـد النـصير والظهـير والـسند مـن الـسياسيين والعـشائر، أمـا في العـراق فهنـاك انحيـاز جيـد مـن قبـل بعـض الـسياسيين ورجـال الـدين وشـيوخ العشائر السنة نحو الثورة.

٦- جـاءت الثـورة العراقيـة بعـد أن اسـتعدى المـالكي – بغبائـه وطائفيتـه العميـاء - الأطـراف الإقليميـة والداخليـة (الكُـرد، تركيـا) وهـذا ممـا سـيدفع هـذه الأطـراف لـدعم الحـراك بـشكل أو بـآخر، فالتعـايش مـع طائفيـة المـالكي وسياسـته الحمقـاء بـات صـعباً ولابـد مـن إيجـاد البـديل أو إضعاف سلطته في أقل الأحوال.

٧- جـاءت الثـورة العراقيـة بعـد مـذابح الإبـادة خـلال عـامي (٢٠٠٦- ٢٠٠٧) وهـذا يعـني أن المـالكي لم يعـد يملـك أكثـر ممـا فعلـه في تلـك الـسنوات العـصيبة، وهـذا يقلـل مـن عنـصر الرهبـة والخـوف ممـا يخبئـه المـالكي للثـوار وأهـل الأنبـار، بخـلاف الثـورة الـسورية الـتي لم تكـن تعلـم أنهـا ستمـضي نحـو مـصير مجهـول ومجـازر دمويـة وحـروب مهلكة.

٨- وأخـيراً، لقـد جـرب أبنـاء العـرب الـسنة كـل المـشاريع وخـبروا بأنفـسهم مختلـف الـبرامج والـسياسات والقيـادات (المقاومـة، القاعـدة، الـساسة، المـصالحة) فوجـدوها كلـها تـسعى مـن أجـل مـصالح ذاتيـة ومكاسـب حزبيـة ضـيقة علـى حـساب المـصلحة العامـة، أو أن نفعهـا قاصـر ومحـدود لا يلـبي حاجـة الجمهـور الـسني، فـالثورة الـشعبية والانتفاضـة الأهلية بدت وكأنها آخر الحلول.

الاستمرار أو الانهيار

لعـل أفـضل مـا يتعلمـه العـرب الـسنة مـن ثـورة الـسوريين أن الاسـتمرار والمـصابرة والمطاولـة هـي الـسبيل الوحيـد لنيـل الحقـوق ورفـع الظلـم واسـترداد الكرامـة، فـالثورة لم تقـم مـن أجـل إصـلاحات تقليديـة محـدودة أو الحـصول علـى امتيـازات إضـافية، وإنمـا هـي ثـورة مـن أجـل البقـاء والحفـاظ علـى الوجـود

السني في العراق الذي ستنجلي عنه ظلمات التشيع قريباً بإذن المولى العزيز.

حركة كولن... تركيا تدق الأبواب

أسامة الهتيمي(*) - خاص بالراصد

حتى سنوات قريبة لم يكن الشباب العربي يسمع بحركة كولن الإسلامية التركية إذ كانت المعرفة بها مقصورة على النخبة الثقافية والفكرية العربية المعنية بالأساس برصد حركة وتطور الفكر الإسلامي التنظيمي سواءً كان ذلك في تركيا أو في غيرها من البلدان الإسلامية ومن ثم لم يزد أمر متابعة الحركة عن كونه أحد مسارات العمل البحثي الأكاديمي الذي يتناول الحركة كما يتناول بقية الحركات الإسلامية.

لكن مؤخرا وخلال أقل من عقد من الزمان تقريبا اختلف الوضع تماما بالنسبة لحركة كولن سواء في مصر أو في بعض البلدان العربية فأضحت الحركة التركية من بين الحركات الإسلامية التي تقيم المؤتمرات وتعقد الندوات خارج حدودها الجغرافية وتصدر الصحف والمجلات الناطقة باللغة العربية بل إن الحركة دشنت موقعا إلكترونيا خاصا بمؤسسها الشيخ محمد فتح الله كولن ضمّنته كتاباته ودراساته وسيرته الذاتية باللغة العربية أيضا وهو ما لفت انتباه الكثيرين إلى الحركة ودفع آخرين إلى التطلع لمعرفة المزيد عنها وعن مؤسسها وما تطرحه من رؤى وأفكار.

ويرجع البعض الأسباب وراء التأخر في معرفة حركة كولن عربيا على الرغم من أن تاريخ نشأتها يعود لعقود مضت إلى التضييق الذي مارسه النظام التركي خلال الفترة الماضية إذ اتسم هذا النظام بعلمانيته الشديدة ومن ثم محاربته لكل الحركات الإسلامية والحدّ من نشاطها وهو الأمر الذي خفت حدته بعد وصول حزب الرفاه برئاسة الراحل نجم الدين أربكان ومن بعده حزب العدالة والتنمية برئاسة رجب طيب أردوغان وهما الحزبان المتصالحان إلى حد كبير مع الإسلام والتنظيمات الإسلامية مقارنة بالأحزاب الحاكمة السابقة عليهما.

يضاف إلى ذلك أن بلدان العالم العربي ذاته كانت ومازالت تزخر بالعشرات من الحركات الإسلامية المتباينة الرؤى والاتجاهات وفق المدارس والمذاهب الإسلامية والتي يتبنى كل منها ويطرح منهجا إصلاحيا ومشروعا نهضويا يختلف كليا أو جزئيا مع بقية المشروعات ولهذا فإن هذا العالم العربي لم يكن في حاجة إلى أن يلتفت أو ينتبه إلى ما هو خارج حدوده الجغرافية بل كانت ترى أغلب هذه الحركات أنها ربما تكون الملهمة لغيرها من الحركات في البلدان الإسلامية غير العربية.

لكن هناك تفسيرا ثالثا يقدمه لنا أحد تلامذة كولن وهو الأستاذ نوزاد صواش الذي يقول: «بالنسبة لفتح الله كولن لماذا لا يعرفه العالم العربي هناك أسباب كثيرة منها شخصيته وخلقه لأنّه يحرص على الفعل وليس على القول كما يُقدّم لسان الحال على لسان القال وتقليل الإنجاز مهما كان ضخما لعدم الرضى بالعمل الذي تقوم به لأنّه لا وقت لديك للدعاية والترويج لعمل تؤمن بأنه تمّ بفضل الله».

بين الحركة والمؤسس

لا تنتسب حركة كولن إلى الداعية التركي محمد فتح الله كولن لكونه مؤسس الحركة فحسب بل إن الحركة تتخذ من أفكار ورؤى

(*) كاتب مصري.

كولن أيضا منهجا فكريا وحركيا ومن ثم فإن محاولة التعرف على طبيعة الحركة وتوجهاتها يستلزم بالضرورة التمعن وبشكل عميق في شخصية كولن وما يطرحه من أفكار وما يتخذه من مواقف فتلامذة كولن وأتباعه يتخذون من هذه الأفكار نبراسا لهم في حركتهم وأطروحاتهم بما يشبه إلى حد كبير تعاطي المريدين مع الشيخ وفق منهج المتصوفة.

ولد كولن في ٢٧ أبريل/ نيسان عام ١٩٤١م في قرية كوروجك الصغيرة بمحافظة أرضروم لعائلة متدينة إذ كان والده شخصًا مشهودًا له بالعلم والأدب والدين، ووالدته سيدة معروفة بتدينها وبإيمانها العميق بالله ما دفعها لتحفيظ ابنها القرآن وهو في سن الخامسة من عمره ليتم حفظه في سن العاشرة.

وكان بيت والد كولن مفتوحا لجميع العلماء والمتصوفين المعروفين في تلك المنطقة لذا تعوّد محمد فتح الله مجالسة الكبار والاستماع إلى أحاديثهم فيما قام والده بتعليم ابنه اللغتين العربية والفارسية.

وتشير بعض المصادر إلى أن كولن درس في المدرسة الدينية في طفولته وصباه وكان يتردد إلى (التكية) أيضًا حيث تلقى تربية روحية إلى جانب العلوم الدينية والعلوم الوضعية والفلسفة كما تعرف خلال دراسته على رسائل النور الخاصة بحركة بديع الزمان سعيد النورسي وقد تأثر بها كثيرا إذ كتب النورسي هذه الرسائل وهو في السجن أو المنفى من عام ١٩٢٦ حتى عام ١٩٥٠م وشملت تفسيرات قيّمة لآيات القرآن وتوجيهات دعوية لإرشاد المسلمين باللغة التركية وزاد عددها عن مائة وثلاثين رسالة وجمعت في كتاب تحت عنوان (كليات رسائل النور) ولم تطبع في المطابع حتى عام ١٩٥٤م فكانت تكتب يدوياً وتنشر بصورة سرية لأنها كانت تلاقي محاربة شديدة من قبل نظام الحكم العلماني السائد في تركيا في ذلك الوقت.

وبدأ كولن عمله الدعوي في سن مبكرة فقد تم تعيينه إماما لأحد المساجد وهو في العشرين من عمره ثم انتقل إلى مدرسة لتحفيظ القرآن ثم عمل واعظاً متجولاً في الأناضول وكان يؤثر أن يبيت في المسجد لا يغادره إلا لضرورة.

وفي دعوته لم تقتصر جهود كولن على تربية النفوس وتزكيتها إذ حرص أيضا على أن يستحث أتباعه على إنشاء العديد من المدارس والأقسام الداخلية وإصدار الصحف وإنشاء المطابع وتأليف الكتب وبث المحطات الإذاعية والتلفزيونية التي تعمل على نشر أفكاره وهو ما كان له أثره الكبير في بلدان آسيا الوسطى التي عانت من الاحتلال الروسي.

وركز كولن على التعليم وتنشئة جيل إسلامي جديد كان يحلو له تسميته بـ «الجيل الذهبي» إذ كان يرى أن مشكلة التعليم مشكلة جوهرية في العالم الحديث وليس في تركيا فحسب فأساس أزمة المجتمع الحديث هو تحطيم تكامل القلب والعقل في التعليم والفكر العلمي فيقول: «إن الفكر العلمي الحديث والنظام التعليمي قطع الرابطة بين جميع العلاقات الإنسانية والاجتماعية والفكرية وبين المقدسات بطريقة وضعية في عدة عصور وكان ذلك هو مصدر الأزمات الأخلاقية والمعنوية والفكرية التي تتعرض لها المجتمعات الحالية».

وفي دراسة للدكتور رجب فايمافحان بعنوان «مفهوم التربية الشمولية لكولن وانعكاسه على المدارس» قال إن كولن يرى أن الحل لهذه المشكلة يكمن في تحقيق تكامل القلب والعقل في التعليم بنظرة شمولية إلى العلاقة بين الإنسان والكون والله.

في هذا السياق فقد حرص كولن على أن ينقل تجربته الدعوية الخاصة إلى المدارس التي أنشأتها

حركته في العديد من البلدان العربية والإسلامية، ومن ثم فقد كان من بين أهداف هذه المدارس محاربة الأفكار المادية والإلحادية التي تبنتها العديد من المؤسسات والدول، وتمكنت في لحظة تاريخية بعينها من أن تغزو بها عقول الشباب العربي والمسلم ما كان له أثره السلبي الشديد على الواقع الاجتماعي والسياسي وهو ما حاول كولن نفسه جاهدا أن يكون لبنة في مواجهته ومحاربته عبر الرد على الأسئلة الحائرة التي كانت تدور في عقول من التقاهم من الشباب .

ويكفي للتدليل على درجة النفوذ التي وصل إليها إعلام حركة كولن أن نشير إلى أن مبيعات الصحيفة الرسمية للحركة وهي صحيفة (الزمان) ارتفع مؤخرا وخلال خمس سنوات فقط من ٣٠٠ ألف نسخة إلى ما يقارب المليون نسخة حتى أنه عندما يقوم أشخاص أجانب بالطيران على طائرات الخطوط التركية تقدم لهم النسخة الإنجليزية من هذه الصحيفة بدلا من صحيفة «تركيش ديلي نيوز» العلمانية.

وكانت ثمرة جهود كولن أن أسس ما أسماه البعض بتيار «الخدمة الإيمانية» ومن ثم ظهور ما يسمى بـ«حركة كولن» والتي تمتلك نحو ألفي مدرسة وعشرين جامعة متميزة في مختلف التخصصات منتشرة في تركيا وفي ٦ قارات و١٦٠ دولة عبر العالم والكثير من المؤسسات الإعلامية الكبيرة وحتى الاقتصادية .

ولا يقتصر نشاط الحركة على ذلك بل يمتد إلى إقامة مراكز ثقافية خاصة بها في عدد كبير من دول العالم وإقامة مؤتمرات سنوية في بريطانيا والاتحاد الأوروبي وأمريكا بالتعاون مع كبريات الجامعات العالمية من أجل دراسة الحركة وتأثيرها وجذورها الثقافية والاجتماعية.

والملاحظة الأهم التي يمكن أن نستشفها من سرد بعض المحطات الرئيسة لسيرة فتح الله كولن هي تأثر الرجل بالمنهج الصوفي وهو الأمر الذي يتكشف جليا أيضا في طريقة خطبه ومواعظه إذ يركز الرجل وبشكل كبير على أن يبكي أتباعه إلى حد الصراخ بل هو نفسه يحرص على أن يشارك أتباعه في هذا البكاء.

الحركة والغرب

إن أهم ما يلفت النظر عند دراسة حركة كولن هو موقف الغرب من الحركة إذ هي من الحركات الإسلامية القليلة التي يرحب الغرب بوجودها ويقبل بنشاطها بين بلدانه وهو الأمر الذي بقدر ما يمكن القول بأنه كان له ظلاله الإيجابية على حركة الدعوة الإسلامية بقدر ما يطرح تساؤلا حول الأسباب الحقيقية وراء هذا الموقف؟ فالبديهي أن الغرب دائم الرفض إلى حد العداء والمحاربة للحركات الإسلامية التي يرى أنها تمثل خطرا محدقا بأمنه وسلامه الاجتماعي وهويته الثقافية فكيف إذاً يقبل بمثل هذه الحركة؟

ولعل من مظاهر هذا القبول أن الولايات المتحدة الأمريكية ارتضت أن يعيش الشيخ كولن على أرضها وبالتحديد في ولاية بنسلفانيا منذ عام ١٩٩٩م ويتواصل من خلال تواجده هناك مع أتباعه وتلامذته بل ويدير نشاط الحركة وفاعليتها وهو أمر يثير التعجب حتى لو كانت هذه الإقامة جاءت بعلة العلاج أو نتيجة المشكلات الأمنية والقضائية التي تعرض لها كولن في تركيا.

كذلك فقد كان لكولن موقفه الواضح والمحدد من هجمات سبتمبر عام ٢٠٠١ إذ أنه وبعد يوم واحد من وقوعها نشر إعلانا من صفحتين في صحيفة «نيويورك تايمز» يقول فيه إن «الإرهابي لا يمكن أن يكون مسلما كما لا يمكن أن يصبح المسلم الحق إرهابيا».

ويمكننا التعرف على الموقف الإيجابي

للأمريكيين من كولن من خلال نقرة واحدة باسم فتح الله كولن على مواقع البحث على الإنترنت لنحصل على مئات المواقع التي تتحدّث عنه وهي المواقع التي في أغلبها مواقع أمريكية بل إن العديدَ من الجامعات اهتمت كثيرا بحركة كولن، وبكولن نفسه حيث أنشأتْ له بعضُ الجامعات في أمريكا أقساماً خاصة باسمه «كرسي أكاديمي» ومراكز علمية متخصصة لدراسة أُطرُوحاته ونظرياته في الدعوة والفلسفة والإصلاح.

أيضا من بين مظاهر هذا القبول الغربي لكولن وحركته دعوته بشكل شخصي للقاء بابا الفاتيكان بولس الثاني عام ١٩٩٨م كما التقى بالعديد من قيادات المجتمع اليهودي في العديد من المناسبات بعد ذلك في إطار ما يسمى بحوار الأديان.

وبالطبع فإنه من المعلوم أن دعوة الفاتيكان لا توجّه إلا إلى شخصيات ذات مواصفات خاصة فالفاتيكان ينظر لكولن باعتباره شخصية متسامحة بعيدة عن التزمت والتشنج وفق تصورهم.

وهنا وفي محاولة لتفسير طبيعة هذه العلاقة يرى البعض أن الغرب يتعاطى مع كولن باعتباره داعية يركز على الجانب الاجتماعي من الإسلام حيث يلقب في تركيا بـ «أبي الإسلام الاجتماعي» وبالتالي فهو ينأى بنفسه وبحركته عن الدخول في معترك الحياة السياسية سواء في تركيا أو في غيرها من البلدان ومن ثم لا يمثل كولن وحركته أي خطر على الغرب من الناحية السياسية خاصة وأنه ينظر إلى الولايات المتحدة وأوروبا باعتبارهما قوى عالمية لا بد من التعاون معها .

والحقيقة أن التفسير السابق ربما يكون محاولة استباقية للرد على ما يمكن أن يراه آخرون من تفسير لطبيعة هذه العلاقة إذ الغرب في حربه على الحركات الإسلامية يستثني تلك الحركات المحسوبة على التيار الصوفي وطرقه التي وفق تقرير مركز راند الأمريكي الصادر في بداية الألفية الثالثة هو الإسلام الوسطي المعتدل الذي يجب أن تلقى كل طرقه وحركاته الدعم المالي والسياسي من قبل الغرب في مواجهة الإسلام السياسي الذي يتخذ من الغرب عدوا يجب أن يواجَه ويقاوم، وعليه فإن هذه الطرق الصوفية وبحسب هذه السياسة تتحول إلى شوكة في حلق الإسلام وليس إضافة له إذ هي تقضي على روح المقاومة والجهاد ضد من يحاولون مسخه وهدمه.

كذلك وفي نفس السياق لا يمكن أن نتجاهل بعض المواقف التي ربما تفسر الكثير مما يصعب فهمه ومن ذلك مثلا أن حركة كولن تعاونت مع حزب العدالة والتنمية التركي حيث خاضا سويا معركة شرسة ضد العلمانيين المتشددين في تركيا غير أن كولن نفسه لم يتردد في الإعلان عن رفضه في تصريحات خاصة لصحيفة «وول ستريت جورنال» الأمريكية لذهاب النشطاء الأتراك والدوليين إلى قطاع غزة لكسر الحصار عبر ما عرف إعلاميا بـ «أسطول الحرية» وهم يعلمون بالمخاطر الجمة التي تنتظرهم مؤكدا أنه كان عليهم أن يحصلوا على تصريح «إسرائيلي» قبل انطلاق القافلة لتوصيل المساعدات إلى غزة كي لا يعرضوا أنفسهم للخطر.

فهذا الموقف الذي استهجنه الكثير من الأتراك ربما يحمل لدى أطراف أخرى تفسيرا لهذا القبول الغربي لكولن وحركته.

غير أنه ومع كل ما سبق فإن الحركة ومؤسسها ونشاطها قد أثاروا الريبة والشك لدى بعض الأطراف الغربية حتى أن صحفية ألمانية تدعى (نجلاء كولك) كتبت تنتقد كولن فوصفت الحركة بـ«الطائفة الإسلامية الغامضة ذات الهيكل المؤسسي» وهو ما دفع الكاتب التركي سلجوك جوتاشلي الذي يكتب في صحيفة زمان – التابعة للحركة - ليقول: «إننا لسنا بمنظمة يمكن للمرء أن يصبح عضوا فيها. إننا جماعة من

الناس لهم نفس الهدف تقريبا» مضيفا : «بإمكان كل مَن يتهمنا باتباع أجندة سرية أن يأتي ويستفسر فنحن لا نخفي أي شيء».

كولن والشريعة

يعد موقف حركة كولن من قضية الشريعة وتطبيقها في تركيا من بين الإشكاليات التي تحتاج إلى كثير نظر إذ في الوقت الذي يؤكد فيه تلامذة كولن ومنظرو حركته أن من أهم أهداف الحركة هو تطبيق شريعة الإسلام في الوقت الذي نجد فيه أن بعض العبارات لكولن تشي بعكس هذا تماما ففي مقولة له نقلتها الموسوعة العالمية للمعرفة «ويكيبيديا» يقول كولن: «إن الغالبية العظمى من قواعد الشريعة تتعلق بالحياة الخاصة للناس فيما الأقلية منها تتعلق بإدارة الدولة وشؤونها وأنه لا داعي لتطبيق أحكام الشريعة في الشأن العام».

كذلك تؤكد بعض المصادر التركية أنه في الثمانينات من القرن الماضي وقد أصبح كولن خطيبا مشهورا عندما كان يخطب في جامع اسطنبول الشهير (جامع السلطان أحمد) يكون من بين الجماهير الحاضرة رئيس الوزراء الأسبق سليمان ديمريل ووزير خارجيته إحسان صبري في حين كان على صلة دائمة برئيس الجمهورية ورئيس الوزراء الأسبق تورجوت أوزال .

يضاف إلى ذلك أن جماعة كولن لم تكن أبدا على وفاق مع رئيس الوزراء السابق والزعيم الراحل للحركة الإسلامية السياسية نجم الدين أربكان بسبب اختلاف رؤية الجماعة عن رؤية تيار أربكان في كثير من القضايا المحورية فبينما تحوي أدبيات تيار أربكان كثيرا من شعارات معاداة الغرب والصهيونية العالمية التي تقود العالم ــ حسب رؤية أربكان - لا ترى جماعة كولن في الغرب وأمريكا لونا واحدا وتدعو إلى التعاون مع القوى الغربية لتحقيق أهداف مشتركة وهو ما يفسر سبب ترحيب كولن وجماعته بسقوط أربكان عام ١٩٩٧م.

لكن وفي مقابل ذلك فإن هناك بعض المواقف التي تعكس إلى أي مدى يحرص الرجل بالفعل على تطبيق الإسلام والقضاء على التوجه العلماني في تركيا ومن ذلك مثلا ما أورده الباحث الألماني دانيال ستينفورث الذي يقول: «إنه وفي مارس ١٩٩٩ سافر الخطيب كولن إلى الولايات المتحدة بشكل مفاجئ وبعد ذلك بوقت قليل بثت إحدى محطات التلفاز التركي خطبة مصوّرة سريا يطالب فيها كولن أنصاره بـ«العمل في صبر والتسلل إلى مؤسسات الدولة للاستيلاء على الحكم» وعلى التو قام المدعي العام بالمطالبة بسجن كولن عشر سنوات بتهمة «تكوين منظمة تعمل على إطاحة الحكومة العلمانية وبناء دولة تقوم على أسس ثيوقراطية».

وعلى الرغم من أنه وبعد سنوات من توجيه التهمة إلى كولن برأت المحاكم التركية الرجل في عام ٢٠٠٦م مما وجه إليه إلا أن كتابات كولن تشي بأن الرجل فعلا حريص على أن يسود الإسلام وإن لم يتحدث صراحة عن تطبيق الشريعة الإسلامية في تركيا ففي كتابه «ونحن نقيم صرح الروح» يحاول كولن أن يصف واقع العالم الإسلامي فيقول: «يمر العالم الإسلامي في الآونة الأخيرة بأحلك الفترات تأزمًا على مر التاريخ من حيث الاعتقاد والأخلاق والمنهج الفكري والمعرفة والصناعة والعادات والتقاليد والأوضاع السياسية والاجتماعية».

ثم وبعد سطور يستعرض فيها ذلك الذي قدمه المسلمون للدنيا بأسرها وللإنسانية جمعاء يحاول أن يضع يده على السبب وراء أزمة العالم الإسلامي فيقول: «ومن المؤلم حقًّا أن هذا العالم لما ابتعد عن المقومات التاريخية والقيم الإسلامية التي نهضت به

قرونًا طويلة فوقع أسيرًا في أغلال الجهل والرغبات البدنية والجسمية والانحلال الأخلاقي والخرافات.. انحدر إلى مهاوي الظلام والخسران وانساق من انهيار إلى آخر.. مُهانًا تحت الأقدام مبعثرًا كحبات مسبحة انفرط عقدُها أو كصفحات كتاب سُلّ خيطُه.. مزلزَلاً بجدل عقيم مقصومَ الظهر بتفرق لا حد له.. مشدوهًا متحيرًا يتغنى بأناشيد الحرية وهو يعاني من أسرٍ أودى به إلى أشد أنواع الخزي والعار.. أنانيًّا يختال بنفسه رغم أنه بلا هوية.. أعلن العصيان على الله ورسوله متذرعًا برفض الثوابت التي يحظر المساسُ بها، فوقع فريسة في مخالب ثوابت أخرى بَئس بها أيما بؤس».

ثم يؤكد كولن أن الانبعاث الجديد لهذه الأمة لن يكون إلا بالعودة للإسلام فيقول: «بيْد أن هذه الفترة العصيبة المتأخرة لم تدم أمدًا بعيدًا رغم كثرة جهود «الأربعين حراميًّا» في الخارج وحفنة من الأخِسّاء في الداخل. وما زال المسلمون الذين يشكلون خمس البشرية اليوم يخوضون كفاحًا من أجل انبعاث جديد في بقاع الأرض كافة ويناضلون للفكاك من عهد هذا الأسر اللعين. وإن ما لاقوه من مصائب واعترضهم من نكبات صباح مساء لا سيما في العقود الأخيرة قد أثمر لديهم طاقة ميتافيزيقية دافعة وفرارًا إلى الله وشحذًا لعزيمة الكفاح».

ويستطرد: «إن توافق روح الإسلام مع طبع الإنسان، ودفعه له نحو الرقيّ المادي والمعنوي وانفرادَه بمكانة لا تُدرَك في الموازنة بين الدنيا والعقبى.. هذا كله جعلَنا -حتى في أحلك المراحل ظلمة- نتنسّم عبَقَ معاني «الحقُّ يعلو ولا يُعلَى عليه» ونفتح أعيننا ونغمضها على حقيقة ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف] ومن ثم فإننا لم نقع في اليأس والقنوط البتة. وأنّى ذلك ونحن نشاهد من الآن تسارعًا مطردًا في التوجه إلى الإسلام من غالب فئات البشر ناهيك عن أن الإسلام تصدّر مكانة عالية في دائرة واسعة امتدت من أمريكا إلى آسيا ومن الدول الإسكندنافية إلى أستراليا».

كولن والصوفية

إن مهمة البحث عن الربط بين كولن وحركته من ناحية والفكر الصوفي من ناحية أخرى مهمة بسيطة ويسيرة للغاية فمجرد الاستماع إلى بعض من خطب كولن عبر موقع اليوتيوب على الإنترنت يكشف للمشاهد ومن الدقائق الأولى المنهج الذي يتبعه كولن في خطبه ومواعظه وطريقة أدائه التي يسير فيها على خطى كبار المتصوفة وفق ما سردت كتب التاريخ ووفق ما نراه في عصرنا الراهن.

كما يتكشف للمشاهد أن خطاب كولن يمزج بين رسالته التي يريد أن يصل بها إلى مستمعيه ومريديه وبين مشاعره الخاصة والذاتية بما يؤكد أن ما يسلكه يأتي عن وعي وإدراك كاملين منه بأنه ليس مجرد داعية أو مبلّغ لرسالة معينة، ولكن عن شعور بأنه شيخ طريقة له أتباعه ومريدوه.

وفي هذا الصدد يمكننا أن نسرد بعضا مما جاء في أحد خطبه التي خصصها للدفاع عن الشبهات التي يثيرها البعض ضده ومنها أنه يمتلك المزارع والعقارات إذ حرص في هذه الخطبة أن يؤكد على زهده وتقشفه في حياته فيقول:

«ما أنا فليس لي مطلب دنيوي وها قد جاوزت الخمسين من عمري لم يقع لي أن طلبت أمرا دنيويا ولم أسلك طريقا أبتغي به تحقيق مرادي الشخصي حتى إن بعض أصدقائي اقترحوا علي أن أنام على الفرش الوثيرة، وإني بكل اطئمنان وراحة بال أقسم بالقرآن كلام ربي إنني قد وقع لي النوم على الفرش في بعض حالات الاضطرار وأظن أن هذه الحالات لم تتجاوز عدد أصابع اليدين. لقد توسدت خشبة ونمت وأحيانا أخرى أسندت رأسي إلى وسادة فنمت فما كان لي أن أخلد إلى الراحة وأطمئن بينما العالم الإسلامي يعيش حالة الاغتراب. إنني لم

أمتلك شيئا ولم أضع لنفسي حجرا على حجر في حين أن هناك من رماني بأنني أمتلك مزارع للزيتون تمتد من أدرميت إلى بحر مرمرة ومنهم من ادعى أن لي عددا من العمارات. دعوني أصارحكم وأقل لكم فحينما كنت أعيش أحلك الوحدة والغربة ضاقت بي السبل بعد الانقلاب العسكري في ١٢ سبتمبر ١٩٨٠م، ما كان عندي لقيمات أسد بها رمقي واستحييت أن أطلب شيئا من أحد فاضطررت إلى بيع آلة التسجيل التي كان أهداها لي أحد أصدقائي كنت استمع بها القرآن الكريم فأخذها أحدهم ووضعها في دكانه ثم بعد برهة أتى بها قائلا: لا يليق بنا ابدا».

ثم يحاول أن يقنع أتباعه أنه يحمل همّ العالم الإسلامي وأنه في ذلك يشبه صلاح الدين الأيوبي فيقول: «إلا أنني حرمت الضحك على نفسي مثل صلاح الدين الأيوبي».

ثم يعود ليؤكد على زهده فيقول: «ولقد كنت فرشت تحتي حصيرا قبل ثلاثين سنة وأني ما زلت على ذلك الحصير فلم أغير حصيري وكان لي عدد من الكتب فقلت لأصدقائي أشعر أنني أحملها على ظهري فأهديتها قبل خمسة عشر عاما إحدى المكتبات وقفا عليها وكنت أستفيد منها كلما احتجت إليها. لقد أوقفتها خشية سؤال ربي إذا حاسبني عنها».

والحقيقة أن هذا الكلام لا يمكن قبوله ببساطة إذ أن من بين ما يعلنه تلامذة كولن لتبرير إقامته في الولايات المتحدة هو تلقي الرجل للعلاج من السكري وأمراض القلب وهو ما يتنافى مع منطقه في الزهد والتقشف مع إقرارنا بحقه في العلاج غير أننا فقط نشير إلى أن الأمر يحتاج إلى تفسير .

أيضا يتكشف تأثر كولن بالتصوف وبوضوح في كتاباته إذ هو يرى أن كبار المتصوفة أمثال محيي الدين بن عربي وجلال الدين الرومي من الذين «رسموا الطريق إلى المعرفة الحقة بالحب والروحانيات» فيما يشير الباحث الألماني دانيال ستينفورث إلى أن تلاميذ كولن يستندون في نشاطهم إلى الشكل التنظيمي للجماعات الصوفية الدينية الذي يعود إلى العصور الوسطى أيام الخلافة العثمانية.

وفي كتاب «فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية» للباحث محمد أنس أركنه أقر الباحث بوجود بعض أوجه الشبه بين الآليات الرئيسية للحركة والطرق الصوفية التقليدية في استعمال بعض المفاهيم المتعلقة بالتربية الروحية والحياة القلبية إلا أنها تختلف عنها في مجال تشكيل حركة مدنية مؤثرة وفي طراز التثقيف وفي منهجية سلوكيات الحركة.. مضيفا أن حركة كولن حركة مجهزة بآليات الحركات المدنية وفيها الكثير من المفاهيم التصوفية: الفكرية منها والعملية.

حتمية البحث

إن الموضوعية تفرض علينا أيضا أن نقر بأن ما قدمناه سابقا ليس كافيا للتعرف على حركة كولن «أفكارها وأهدافها» إذ الأمر يحتاج إلى الكثير من الدراسات والأبحاث حول الحركة وهو عبء يجب أن يشارك فيه باحثون من مختلف التخصصات، فما تطرحه الحركة فكرة تتسم بالتعقيد والتشعب .

كما أن الطريقة التي قدمت الحركة بها نفسها للعالم العربي تطرح العديد من التساؤلات فقد جاء أول لقاء عربي بحركة كولن عن طريق مقر جامعة الدول العربية بالقاهرة التي استضافت مؤتمر «مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية» عام ٢٠٠٩ أي بعد أربع سنوات من إصدار مجلة حراء الناطقة باللغة العربية والقريبة من الحركة.

وكان التساؤل الأهم الذي دار في خلد الباحثين

والإعلاميين والسياسيين حول السبب الحقيقي الذي يدفع الجامعة العربية لاستضافة هذا المؤتمر للتعريف بحركة إسلامية في الوقت الذي تعاني فيه الحركات الإسلامية الإصلاحية في أغلب البلدان العربية من التضييق والتهميش؟ وهل يرتبط هذا بما سبق وأن أشرنا له بشأن طبيعة العلاقة بين الغرب وحركة كولن؟

الأمر الثاني يتعلق بكون حركة كولن ونشاطها في البلدان العربية سواء من خلال الإصدارات أو المؤتمرات أو الندوات هو طريقة التواصل التركية الجديدة مع هذه البلدان بعد غياب تركي عن هذه البلدان امتد لأكثر من ثمانين عاما - سقوط الخلافة العثمانية ١٩٢٣م - فهل تريد تركيا بهذه الخطوة أن تقدم لنا بديلا إسلاميا حركيا يختلف عما أفرزته الحركة الإسلامية العربية؟ أم أن الأمر مجرد محاولة تركية للعودة من جديد للأمة العربية والإسلامية وفق تعليق الدكتور محمد عمارة على مؤتمر الإصلاح حيث قال: «إنَّ تركيا تعود مِن جديد لأمَّتِها».

«علم الروحانيات».. نيران تلتهم الشباب والدعاة غائبون

معتز بالله محمد(*) - خاص بالراصد

أعدادهم بالآلاف على المنتديات ومواقع التواصل الاجتماعي، بعضهم أساتذة والآخرون مريدون ينهلون من علمهم المزعوم، علم لم يرد في القرآن والسنة التي يزعمون اتباعهما، وأدعية لم نسمع عنها من قبل، هم لا يمارسون سحرا بالمعنى التقليدي بل وتحت مسمى «علم الروحانيات» يدسون السم في العسل، فترى متونهم ومخطوطاتهم وأدعيتهم تضم آيات قرآنية، وتراها في الوقت ذاته تحوي جداول بها أرقام وطلاسم سريانية غير معروفة، الأدهى أنك تراهم يقولون إنهم يمارسون علما يؤتيه الله من يشاء، أي أن الله اختصهم بأسرار دون غيرهم.

وفي عصر السماوات المفتوحة انتشرت تلك الظاهرة المخيفة التي تلقي بشبابنا في طريق الشيطان وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، في هذا البحث تحاول «الراصد» الغوص في أعماق هؤلاء لمعرفة طريقة تفكيرهم، مرجعياتهم ومن يقف خلفهم، وما إلى ذلك من تفاصيل تتيح لنا الوقوف عن كثب على أخطر الظواهر التي تواجه شبابنا وللأسف فإن كثيرا منهم يحملون درجات علمية عالية لكنهم جاهلون بأمور دينهم ما يجعلهم لقمة سائغة في وجه تلك البدع الشركية.

بداية يجد الشغوفون بغوامض الأمور والألغاز من متصفحي الإنترنت ضالتهم في منتديات بعينها، قد يكون دخول المرء للمرة الأولى بدافع الفضول ولكن كلما تعمق في القراءة يتولد لديه شعور بأنه عثر على ما يرنو إليه وما سيحقق كل أحلامه بسهولة، لكنه ربما لا يدري أنه على حافة الهاوية والطريق السريع إلى جهنم والعياذ بالله.

فلك أن تتخيل أيها القارئ الكريم شابا لا يفقه الكثير عن دينه يدخل إلى منتدى يحوي عناوين مثل هذه: جلب الحبيب في ٤٨ ساعة، استخراج الدفائن والكنوز، استخدام لدفع الخصوم، استخدام للتهييج، استخدام لعدم زواج الزوج على زوجته، استخدام في القبول والجاه عند الناس، استخدام لقضاء الحوائج، استخدام للقضاة وأرباب المناصب والمسؤولين، واستخدام لجلب الزبون في البيع والشراء.

أحلام ضائعة

ولأننا نعيش في عصر تصطدم فيه أحلام الشباب بواقع مرير، تتضاءل فيه فرص العمل،

(*) كاتب مصري.

ويرتفع سن الزواج إلى ما فوق الثلاثين، فإن كثيرا من هؤلاء يصبحون فرائس سهلة لمثل هذه المنتديات التي يرون فيها حلا سحريا لكافة مشاكلهم الحياتية. وعند هذه النقطة يبدأ الشاب في التعرف على كيفية الانضمام إلى هذا العالم المثير الذي يخيل إليه أن كل ما فيه لا يخالف الدين في شيئ بل إن ممارسة هذا العمل تعتبر تقربا إلى الله عز وجل، وهذا ما يسوقه من يسمون أنفسهم شيوخ الروحانيات. حينئذ يبدأ الشاب في الدخول في خلوات وقراءة أوراد وأدعية وسور قرآنية بأعداد معينة وفي أوقات بعينها للولوج إلى عالم الروحانيات المزعوم.

تزييف الحقائق

الغريب ما يسوقه هؤلاء «الشيوخ» لقلب الحقائق وإقناع الشباب بأن تلك الروحانيات لا تخالف الشرع، يقول أحد هؤلاء «الشيوخ» معرفا الأعمال الروحانية: هي الأعمال التي تفوق قدرة الحواس الطبيعية أو قدرة العقل كجلب النفع أو دفع الضرر، وهذه الأعمال لها أقسام متعددة فمنها ما هو خير ومنها ما هو شر ويكون مدى استخدام الخير والشر منها على ذات المستخدم فالإنسان الذي يسعى للإصلاح بين الناس ويساعدهم على حل مشاكلهم يكون عمله الروحاني خيراً وبالعكس، فالشخص الذي يسعى بهذه الأعمال إلى الإيقاع بالناس وزرع الحقد والضغينة بينهم بأعمال التفرقة أو المرض أو سوء الحظ فإن عمله الروحاني يكون شرا وعامة أعمال الخير تكون أكثر استجابة وسرعة في نجاحها خاصة إذا ابتغى الروحاني خدمة الناس ومساعدتهم لأن خدام الأسماء والأعمال من الروحانيين يحبون تقديم المساعدة للناس، وبالعكس فإن أعمال الشر والفراق والجنون وما إلى ذلك تكون بطيئة الاستجابة وقد لا تحصل إلا إذا عمد المستخدم إلى الاستعانة بالأعمال السفلية».

هذا «الشيخ» يدعى محمود العطار وهو مصري له أكثر من عشرة منتديات ومواقع من بينها «منتديات أسرار الجن الرسمية المعتمدة للعلوم الفلكية والروحانية» و«موقع لجلب الحبيب خلال ٤٨ ساعة» و«موقع أسرار الجن الروحانية للمحبة والجلب» و«موقع الشيخ العطار للدروس وتحضير الجن» وغيرها من المواقع والمنتديات التي تجذب عددا كبيرا من الشباب من مختلف الأقطار العربية.

ويعرف «العطار» نفسه بأنه عضو الاتحاد العالمي للفلكيين والروحانيين بفرنسا وإخصائي الحسابات الفلكيه والطب الروحاني والمعالجة المعتمد من الأزهر الشريف وهو كما يزعم عضو مشيخة الأزهر وعضو مجمع البحوث الفلكية.

يقول «العطار» في الصفحة الرئيسية لأحد منتدياته: «تنقسم الأعمال الروحانية إلى خير وشر فإذا كانت أعمال خير وليس فيها ما يدل على الكفر أو التوسل أو التقرب إلى الجان فهذه لا بأس بها والله أعلم، أما أعمال الشر فإذا كانت كذلك أي ليس فيها صيغ كفرية أو ما يدل على الاستعانة والتقرب إلى الجان فلا بأس بها إن عملت لمستحقها «الإنسان الظالم، أو المتعدي، أو الماجن» كعمل الفرقة لأشخاص يجتمعون على الإثم والفساد والعدوان وإن كان الأفضل تركها والاستعانة بالأدعية والأذكار وخواص الأسماء الحسنى والآيات القرآنية فإنها أقوى استجابة، وأما إذا كانت الأعمال الروحانية سواء خير أو شر تحتوي على صيغ كفرية أو استعانة بالجان بالتقرب إليهم بأمور غير شرعية فهذا لا يجوز قطعاً، وصرح بذلك أغلب أئمة وعلماء الإسلام والله أعلم».

السم في العسل

لكن وفي حقيقة الأمر فإن تلك الأدعية والأوراد

والمخطوطات الروحانية لا تخلو من الطلاسم والجداول التي ما أنزل الله بها من سلطان فهي لا تمتّ للكتاب ولا للسنة ولأي قول مسند صحيح من أهل العلم الثقات، فهذه الطلاسم غير المفهومة تحوي تعظيما للجن وتأليها لهم ورفعهم في أعالي المنازل والسخرية والاستهزاء بالله تعالى وقرآنه والعياذ بالله وذلك إما بكلمات صريحة في الكفر وإما أن يكون بتمويهها على العامة وذلك إما أن يكون الذكر أو الرقية بكلمات غير مفهومة نطقا أو كتابةً أو أن يتم دمج هذه الكلمات غير المفهومة بأخرى مفهومة أو أن يتم دسها بين القرآن والسنة أو أن يتم كتابة حروف القرآن مفرقة أو معكوسة.

كذلك فإنه يشترط قراءة آيات وسور معينة في أوقات معينة بأعداد معينة زاعمين أن لكل سورة من القرآن خداما من الجن العلويين أي المسلمين، ويرى بعض العلماء من أهل السنة والجماعة أن تلك أكاذيب واضحة لأنها إن صحت فهذا يعني أن هؤلاء «الروحانيين» أفضل وأعلم من النبي ﷺ وجاءهم من العلم ما لم يأته وبهذا يكون ما بلغ الرسالة ولا أدى الأمانة وهذا يخالف النص القرآني (اليوم أكملت لكم دينكم)، ويرى بعض العلماء أن قراءة السور والآيات بتلك الطريقة قد يكون لتحضير الجن الكافر، وهنا يسأل سائل: هل يحضر الشيطان مع تلاوة القرآن؟ الإجابة بنعم لأنك بتلاوة القرآن لتحضير خدام الآيات صرفت نية القراءة من التعبد إلى الله تبارك وتعالى وعزوجل إلى نية أخرى وهي تحضير الجن والشياطين.

الشيعة والصوفية

وفي المقابل فإن معنى الروحانيات الحقيقي في الإسلام لدى أهل السنة والجماعة هي تلك النصوص والتعاليم التي تصب في مجال تزكية الروح أو النفس والسمو بها في مدارج السالكين لله عز وجل، لكن وبتتبع أصول ما يسمى بعلم الروحانيات المنتشر حاليا يتضح انتماءه للشيعة والصوفية، وهو ما يمكن إثباته من خلال عرض بعض أذكارهم، ففي كتاب الطبرسي (مكارم الأخلاق ص ٤١٥- ٤١٦) ورد ما يسمى بـ «حرز أمير المؤمنين (علي) عليه السلام والذي جاء فيه:

للمسحور والتوابع والمصروع والسم والسلطان والشيطان وجميع ما يخافه الإنسان وجميع ما علق عليه هذا الكتاب لا يخاف اللصوص والسارق ولا شيئا من السباع والحيات والعقارب وكل شيئ يؤذي الناس وهذه كتابته: بسم الله الرحمن الرحيم.. أي كنوش أي كنوش أرشش عطينطينطح يا ميططرون فريالسنون ما وماسا ماسوما يا طيطشالوش خيطوش مشفقيش مشاصعوش أو طيعينوش ليطيفتكش هذا هذا.. وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ..اخرج بقدرة الله منها أيها اللعين بعزة رب العالمين .. اخرج منها وإلا كنت من المسجونين .. اخرج منها: فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين.. اخرج مذؤوما مدحورا ملعونا كما لعنا أصحاب السبت!!.. وكان أمر الله مفعولا.. اخرج يا ذوي المخزون.. اخرج يا سورا سور بالاسم المخزون يا ميططرون طرعون مراعون تبارك الله أحسن الخالقين. يا هيا شراهيا حيا قيوما: بالاسم المكتوب على جبهة إسرافيل اطرد عن صاحب هذا الكتاب كل جني وجنية.. وشيطان وشيطانة ..وتابع وتابعة .. وساحر وساحرة .. وغول وغولة .. وكل متعبث وعابث يعبث بابن آدم .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ..وصلى الله على محمد وآله الطيبين وعترته الطاهرين».

ومن كتاب (التحفة الرضوية في مجربات الإمامية) لمحمد الرضى الرضوي لعلاج الألم ص ٥٥: قال السيد السمناني: تضع يدك على موضع الألم وتقول سبع مرات: كالي جربا .. لا بد ولي بيلي .. جرباسي هنوته .. بيركي دون اورابيسيناسي .. جا جا جا».

والأمثلة كثيرة جدا من كتب الشيعة والصوفية التي تضم أذكارا غير مفهومة نذكر منها أيضا الرقية التي أوردها «العلامة» السيد حسن السمناني في (منهاج العارفين) ص ٢٥٦ للحصول على الحمل: إذا صامت المرأة يوم الخميس وعلقت هذا الطلسم عليها عند الجماع حملت بلا شك.. وقد جُرب ذلك: م م م م ط هـ هـ.. على على على على على على.. له له له. ما مو لعو هو فسو».

كذلك نجد أن للصوفية أورادا وأذكارا خاصة بهم يتم قراءتها عدد مرات معينة، ومن المنتديات الشهيرة على الإنترنت لتعليم «الروحانيات» وتسخير الجن تلك الخاصة بالطريقة الصوفية التيجانية كمنتدى «مملكة الشيخ المغربي التيجاني» و«الجواهر السبعة للشيخ التيجاني»، وموقع «الشيخ سيد عبد الرحيم الرفاعي للروحانيات»، كذلك فمن بين أشهر الكتب التي تستخدم في هذا المجال كتاب «الأسرار الباطنية في الاستخدامات الروحانية» وهو من تأليف الشيخ حسين قنديل صاحب الطريقة البيومية الصوفية، ويوصف الكتاب بأنه «مرجع قوي في الأعمال وتلبيس وصرع وفك وعقد وصلح وتسخير وأعمال كثيرة في المحبة قوية جدا».

نصب واحتيال

ولا يخفى على أحد أن الكثيرين من طالبي ما يسمى «العلاج الروحاني» كثيرا ما يتعرضون للنصب من قبل «الشيوخ الروحانيين» وتزخر مواقع النت بقصص لهؤلاء الذين وقعوا فريسة للمشعوذين والدجالين، فهذه فتاة تعرضت للابتزاز الجنسي من أحد الدجالين الذي أوهمها بقدرته على علاج أختها المريضة بالصرع وذلك بعدما أخذ منها مبالغ مالية كبيرة، وذلك نصاب آخر يدعى «هيمون» وزوجته شيخة نصابة تدعى «سحر» يقومان باستدراج النساء بحجة تقديم العلاج ثم يتم تخديرهن قبل الإتيان برجال لممارسة الفاحشة معهن وتصويرهن لابتزازهن ماليا بعد ذلك.

ويروي أحدهم قصة أخرى فيقول: لي قصه حدثت مع أحد اصحاب المنتديات الروحانيه والمنتدى هذا اسمه (منتدى الشيخ التيجاني للعلوم الروحانية) وكنت أنا مشتركا بهذا المنتدى باسم أبو الفضل وفي الآونة الأخيرة كتب في منتداه أنه يبيع جنيات للنكاح مقابل ٦٠٠ دولار وإحدى المشتركات تقول له: هذا ظلم يا شيخي هذا للرجال وليس هناك شيء للبنات؟!

فرد عليها: هناك ذكور من الجن للبنات. فرددت عليه: استغفر الله وأتوب إليه. وفي اليوم التالي حُظرت من المنتدى وكنت متوقعا ذلك فأرسلت اليه إيميلا أوضح له أن هذا لا يجوز وناشدته الله أن يلغي الموضوع (جنيات للنكاح) من المنتدى وسألته لو أن ابنته طلبت منه جنيا للنكاح ماذا يكون رد فعله؟ فرد علي بأنني غبي ولا أفهم واتهمني بقلة الأدب وأرسل كل شتائمه التي لا حد لها.

كنت أعتقد أن عنده شيء من العلم فاتضح لي أنه ليس عنده أي علم لا بالدين ولا حتى بالعلم الروحاني الذي يدعيه ولو في إمكانيه أن أرسل هذه الإيميلات إليكم لأرسلتها ولكنها تتضمن أحقر العبارات التي يمكن تصورها، هذا هو علمهم وهذا هو عالمهم».

دعوة عاجلة

وفي النهاية نوجه الدعوة عبر منبر «الراصد» لعلماء الأمة ورجال الدين الذين سكتوا عن تلك الظاهرة الخطيرة أن يتحركوا ويردوا على هذا الضلال وتلك البدع التي انتشرت في المجتمع كالنار في الهشيم، تحركها الأحقاد الشيعية والأباطيل الصوفية، وأن يخرج رمز من رموز الأمة ويفضح ألاعيبهم ويجزم بشكل قاطع أن ممارسة ما يسمى بعلم الروحانيات تنطوي على شرك بالله تعالى وليست من الإسلام في شيء.

إيران وإسرائيل حرب بدون نيران

بوزيدي يحيى(❖) – خاص بالراصد

هنــاك إجمــاع شــبه كامــل أن نهايــة نظــام الأسـد باتـت مـسألة وقـت فقـط بعـد انتقـال الجـيش الحــر مــن مرحلــة الــدفاع إلى الهجــوم باســتهداف مراكــز تجمــع الجــيش النظــامي في مختلــف المــدن الــسورية، وتحقيقــه العديــد مــن الانتــصارات، بـالتزامن مـع اشـتداد المعـارك في ريـف العاصمـة دمـشق وبعــض أحيائهــا، إلى جانــب التــصريحات الروســية المتناقـضة في الفـترة الأخـيرة والتراجـع الـصيني الـذي كـان منـدفعا في الأيـام الأولى للثـورة، والكـل يتوقـع أن يحــصل انهيــار للنظــام في أي لحظــة. وأمــام هــذا الــسيناريو أصــبح الــسلوك الإيرانــي واحتمالاتــه أحــد المواضـــيع المـــثيرة للجـــدل والنقـــاش خاصـــة بعـــد التــصريحات الإيرانيــة الــتي حــذرت تركيــا عقــب إعلانهــا نــشر منظومــة بــاتريوت علــى حــدودها مــع ســوريا مِــن أن هــذا قــد يكــون ســبباً لحــرب عالميــة ثالثة.

فهـل يمكــن أن تــذهب إيــران في دعمهــا لنظــام الأســد إلى تفعيــل اتفاقيــة الــدفاع المــشترك بينهمــا وتحولهــا لحــرب إقليميــة أو عالميــة أم انهــا مجــرد بروبجاندا إعلامية؟

ملمة الأوراق

بعــد تــصريحات نائــب وزيــر الخارجيــة الروســي ميخائيـل باغـدانوف الـتي قـال فيهـا إن النظـام بـدأ يفقــد الــسيطرة علــى الــبلاد أكثــر فــأكثر، ولم يـستبعد علـى هـذا الأسـاس انتـصار المعارضـة، حاولـت موسـكو تأكيـد موقفهـا الـسابق وإنكـار حقيقـة هـي أول من يدركها.

غـير أن الأخبـار تـواترت بعـدها لتثبـت العكـس تماما، حيـث أعلنـت وزارة الـدفاع الروسـية عـن إرسـال بــوارج حربيــة للــشواطيء الــسورية تحــضيرا لإجــلاء محتمـل للرعايـا الـروس في حـال سـقوط النظـام، ثـم تكثيــف النــشاط الدبلوماســي ودعــوة الائتــلاف الوطني للحوار في موسكو.

هــذه التــصريحات المتناقـضة والمواقـف والإجـراءات تعكـس القـرار النهـائي لروسـيا وهـو الـذهاب في دعـم النظـام حتـى نهايتـه ولـيس حتـى عـودة سـيطرته علـى كـل سـوريا كمـا كـان الحـال قبـل الثـورة، وبـين هـذا وذاك ســتحاول إيجــاد مــوطئ قــدم والتموضــع علــى حـسب المعطيـات الجديـدة، ولكـن أهـم عقبـة أمامهـا هــو الموقــف الــشعبي منهــا، والــذي يمثلــه الائتــلاف الــوطني إذ وضــع رئيــسه أحمــد الخطيــب ســقفا عاليــا للعلاقـــات الروســـية- الـــسورية مـــا بعـــد الأســـد بمطالبتــه واشــتراطه علــى وزيــر الخارجيــة الروســي ســيرغي لافــروف تقــديم اعتــذار للــشعب الــسوري بــسبب دعــم بــلاده للنظــام قبــل أي حــوار معهــا، هــذا الــشرط يــصعب علــى موســكو أن تقبــل بــه وبالتــالي فــلا يتوقـع لروسـيا بعـدما خـسرت مـصالحها في ليبيـا وضع مميز في مستقبل سوريا أيضا.

هـــذا مـــا يؤكـــد أن الـــدوافع الـــتي تحـــرك ســـلوكياتها هـــي اعتبـــارات الـــسياسة الداخليـــة بالدرجــة الأولى، وإذا كــان الأمــر كــذلك فــإن المبالغــة بالحــديث عــن إمكانيــة تــورط أمريكــي روســي في مواجهــة مباشــرة بــسبب ســوريا لم يحــصل حتـى أيـام الاتحـاد الـسوفياتي والحـرب البـاردة مغـامرة غـير واقعيـة في التحليـل، وهـذا يستـشف أيـضا مـن حـديث وزيـر الخارجيـة الروسـي سـيرغي لافـروف عـن طمئنـة المجتمـع الـدولي مـن خطـر الأسـلحة الكيماويـة الــتي هــي تحــت الــسيطرة، ووصــفه اســتعمالها بالانتحـار الـسياسي. وقـول الـرئيس فلاديمـير بـوتين إن روسـيا ليـست معنيـة بمـصير الأسـد وتفهمهـم أن العائلـة موجـودة في الـسلطة منـذ أربعـين عامـا وهنـاك حاجـة للتغيير، وهـي لغـة دبلوماسـية مـن الواضـح أنهـا محاولـة

(❖) كاتب جزائري.

لِلملمة الأوراق وإخلاء المكاتب.

وحتى بالنسبة لإيران فإن الأمر لا يختلف كثيرا، فهي بدورها تركز على الانعكاسات الداخلية عليها لما يجري في المحيط العربي بشكل عام، وإن كانت حساباتها الاستراتيجية مختلفة بعض الشيء عن روسيا ذلك أنه من حيث الأهمية فإن دمشق بالنسبة لطهران ذات أهمية كبيرة جدا لأنها اعتمدت عليها في تسويق مشروعها الذي ينطلق من أسس عقدية ممتزجة بالقومية الفارسية، فسقوط نظام الأسد يعني نهاية حزب الله كورقة ضاغطة ومغطية ومظللة، ومع عدم قدرته أو حتى رغبته الدخول في مواجهة عسكرية مع إسرائيل فإن الترسانة الصاروخية إما سيأكلها الصدأ أو ستوجه للداخل اللبناني ولربما لحماية الدويلة العلوية التي قد يحاول الأسد أو إيران اللعب بها، وهو أمر يظل قائما في ظل التركيز في المجازر الجماعية على نقاط التماس السنية العلوية مثل مجزرة الحولة ومجزرة دير بعلبة في حمص التي راح ضحيتها زهاء أربعمائة سوري.

كما أن الوقت أصبح جد متأخرا بالنسبة لإيران حتى تغامر بالتدخل العسكري ضد تركيا لتدويل الحرب وذلك لأن الجيش الحر أصبح يسيطر على الكثير من المواقع الاستراتيجية في شمال سوريا وخاصة منها القواعد والمطارات الجوية، بل ويهدد حتى العاصمة، أما الجيش النظامي فلم يعد سوى مجموعة من العصابات تمارس القتل فيما تبقى لها من قواعد وحواجز يطوقها الثوار، وإذا كان كل هذا ينذر بنهاية الأسد فما الجدوى من المغامرة التي ليست من مفردات القاموس السياسي الإيراني؟

وهذا لا ينفي عدم تردد إيران في دعم النظام بإرسال الحرس الثوري لخط المواجهة ضد شعبه، ولكن هذا أقصى ما تستطيع القيام به، أما حساباتها الحالية فهي تدمير أقصى ما يمكن من بنى البلد وإحداث شروخ اجتماعية طائفية تستثمر فيها وتوظفها كأوراق لاحقا، لذا يجب توقع تنامي الأعمال الطائفية والتفجيرات – بواسطة عملائها وفلول النظام - تهدف منها إلى محاولة التغطية على مشروعها وتزويد عملائها بما يحتاجونه من مواد إعلامية للبروباغندا.

الغرب والكيماوي

والأهم في المسألة أن من توجه إليهم إيران التهديدات (أي الولايات المتحدة وإسرائيل والدول الغربية الأخرى) لم تكن في يوم من الأيام ترغب بالتدخل العسكري في سوريا، وحتى الآن لم تدعم الجيش الحر عسكريا وتقف دون تزويده بأسلحة تمكّنه من حسم المعركة في وقت وجيز، فإذا كان هذا المستوى من الدعم كاف لتحقيق هدف الولايات المتحدة وإسرائيل كما تدعي طهران، ومع ذلك لم يحصل فهل يتوقع الآن أن تقْدم على التدخل العسكري وتعريض أرواح جنودها للخطر؟

والتحجج بنشر صواريخ الباتريوت على حدود تركيا أيضا غير مقنع لأن عدد البطاريات المنشورة، اقتصرت على ست فقط ما يدل على أنها خطوة رمزية بالدرجة الأولى سياسياً وإعلامياً أكثر منها خطوة عسكرية جادة وحتى في هذا الإطار فهي دفاعية ليس إلا.

والخط الأحمر الكيماوي الذي تحدثت عنه الولايات المتحدة له معنى مختلف تماما عمّا يروج له، فرغم إقدام النظام السوري على استعمال الأسلحة الكيماوية ضد أهالي مدينة حمص كما رصدته كاميرات ناشطيها، ومع كل التهديدات والإنذارات للنظام من مغبة استعمالها إلا أن الصمت كان سيد الموقف حيث لم تصدر أي ردود أفعال قوية كما كان يفترض. هذا الخذلان للشعب السوري يضاف إلى قائمة المواقف التي خذل فيها سابقا، والتي جعلته يتمسك بالشعار الذي رفعه

المتظاهرون من اليوم الأول «ما لنا غيرك يا الله» ويتوكلون عليه ويعتمدون على أنفسهم لافتكاك حريتهم وحقهم من النظام الطاغي.

ومن المنظور الواقعي لما يجري في إطار العلاقات الدولية لا يثير هذا الخذلان الاستغراب على الإطلاق، لأن الكل يدرك أن المقصود بالخطوط الحمراء الأمريكية والإسرائيلية للأسد هو إمكانية استعمال تلك الأسلحة ضد إسرائيل فقط أما ما دون ذلك فهو مباح بعدما استباح دماء السوريين بالصواريخ التي تنهال على مدنهم وقراهم منذ قرابة السنتين، وقد فهمت إيران الرسالة جيدا حيث خرج وكيلها حسن نصر الله في حوار تلفزيوني على قناة الميادين نفى فيه إمكانية استعمال حزبه الأسلحة الكيماوية بحجة أنها محرمة شرعا. إذاً بعد كل هذا لا يعقل الحديث عن مواجهة يكون الغرب هو البادئ فيها رغم كل التحرشات السورية ضد تركيا والتي لم تقابل بردود أقوى وبقيت محصورة في إطار الإنذارات.

حرب بدون نيران

التصريحات شبه الدورية للقادة الإسرائيليين عن شنّ حملة عسكرية ضد طهران بسبب برنامجها النووي يفترض أنه يعزز من إمكانية تحول ما يجري في سوريا إلى حرب إقليمية، لكن وعند المقارنة بين هذه التهديدات الإسرائيلية لإيران مع السلوك الإسرائيلي تجاه القدرات النووية العربية نجد أن إسرائيل استهدفت سنة ٢٠٠٧ ما قيل أنه مشروع مفاعل نووي سوري في دير الزور دون أي سابق إنذار، كما استهدف قبل ذلك بعقدين من الزمان المفاعل النووي العراقي.

أما النووي الإيراني فقد مضت أكثر من عشر سنوات على اكتشاف أنه مشروع عسكري نووي، وإسرائيل لا تتوقف عن إطلاق التهديدات ضده وخاصة كلما يقترب موعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وآخر تلك التهديدات ما فعله رئيس الوزراء نتنياهو في الأمم المتحدة واضعا خطا أحمر عند التسعين في المائة، ذلك الخط الأحمر الذي لم نشهده في المشاريع النووية الأخرى التي استهدفتها في دول عربية رغم أنها لم تبلغ حتى العشرة بالمائة، والسؤال الذي يطرح لماذا تقصف المشاريع النووية العربية بينما توضع خطوط حمراء على الورق وتحذيرات كلامية فقط على النووي الإيراني؟

الجواب على هذا السؤال يأتي من السودان حيث استهدفت إسرائيل مصنعاً للأسلحة هناك بحجة دعم حماس، وقد قرأ البعض في ذلك رسائل لإيران نظرا لأن المسافة بين إسرائيل والسودان هي نفسها التي تفصلها عن إيران، ومع أن هذا التحليل وارد لكنه غير مرجح كون الحسابات العسكرية لها اعتبارات أخرى تتعلق بالإمكانيات العسكرية الإيرانية وغيرها من التفاصيل، ولكن ما يهم في الموضوع هو وصول سفينتين حربيتين إيرانيتين إلى موانئ السودان في اليوم التالي وإدانة النظامين للعملية، وتأكيدهما على تعزيز التعاون، وهنا أيضا إذا سلمنا جدلا أنها رسائل إلى إيران فهي تتم على الساحة العربية دائما، والأهم من ذلك أنه لم يعد خافيا الدور الذي لعبته إسرائيل في تقسيم جنوب السودان والعلاقات بين الطرفين أكبر دليل على ذلك، وهذا يدخل في إطار مواصلتها تطويق العالم العربي من أطرافه.

هذه الاستراتيجية تقوم على بناء علاقات استراتيجية مع تركيا وإيران وإثيوبيا، إلى جانب إضعاف الدول العربية، وسياسة طهران لا تختلف عن ذلك، مما يوجد حالة من تبادل الخدمات مع الكيان الصهيوني وإن بشكل غير مباشر، لهذا السلوك نجد الإسرائيلي مختلفاً تماما مع إيران عن سلوكها مع الدول العربية ما يؤكد استمرار سياستها بتطويق الأمن القومي العربي بنفس الإستراتيجية منذ عهد الشاه، اللافت أن إيران برغم أنها تتزعم محور الممانعة توسع نفوذها في

كل إفريقيا جنبا إلى جنب مع الكيان الصهيوني دون صدام، والمؤسف أن تجد في ذلك بعض الأنظمة والحركات على غرار النظام السوداني - التي تبحث عن شرعيتها في مواجهات خارجية - مادة تروج بها هي الأخرى البروبجاندا.

جدير بالذكر في هذا السياق أن المناورات العسكرية التي تجريها إيران من حين لآخر هي مناورات دفاعية في حالة ما إذا تعرضت للهجوم، أما أن تبادر هي إلى الهجوم فهذا ما يستبعد حصوله ولنا تجربة في العدوانين على غزة وعلى جنوب لبنان.

خلاصة

الحرب الإعلامية في الفضائيات من خلال التصريحات والبيانات السياسية تدور حول موضوعي الحرب على سورية والبرنامج النووي الإيراني، ويتناوب في إطلاقها قادة إيران العسكريون والسياسيون، مع إسناد من نصر الله وبشار الأسد تتخللها أحيانا مناورات عسكرية أو مجازر حقيقية، وفي الجهة الأخرى تقوم حملات موسمية أمريكية وإسرائيلية وفي الوسط نشهد استعراضات روسية يحسن بقايا اليسار من أتباع إيران وبعض القومجيين صياغتها في برامج إعلامية مشروخة.

وقد تكون الطائرة بدون طيار التي أرسلها حزب الله إلى إسرائيل أفضل نموذج يكشف حقيقة اللعبة وطبيعة العداء بين الجمهورية الإسلامية والكيان الصهيوني، فالسلوك في ظاهره حربي وخطير وتهديد للأمن القومي للكيان الصهيوني، ولكن لا توجد أي خسائر وكل طرف حقق العديد من المكاسب داخليا وفي المنطقة، هذا السلوك هو ما ظلت عليه العلاقة بين الطرفين برغم البروبجندا الإعلامية.

تأسيسا على كل هذا فإن حديث طهران عن حرب عالمية ثالثة يضاف إلى سلسلة الأحاديث التي دأبت عليها منذ سنة ١٩٧٩ والتي تهدف إلى ملء الفضاء الإعلامي بالكثير من الدخان للترويج لمشروعها الشعبوي والتغطية على صفقاتها ومفاوضاتها مع الولايات المتحدة وإسرائيل، فمع تراكم جرائم النظام الأسدي لم يعد يملك طابور إيران غير إطلالات المسؤولين الإيرانيين الإعلامية ومناوراتهم في الخليج واتهاماتهم لهذا الطرف أو ذاك، وفي النهاية ورغم الأهمية الإستراتيجية لسورية بالنسبة لإيران إلا أنها تبقى مجرد ورقة ستظل متمسكة بها حتى اللحظة الأخيرة ولكنها لن تغامر بحرق يدها إذا ما وصلت النيران لأصابعها.

زواج المتعة.. نساء للبيع

فاطمة عبد الرؤوف(*) – خاص بالراصد

عندما خلق الله عز وجل الإنسان خلقه مكرما

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء]. لا فارق في ذلك بين الرجال والنساء (إنما النساء شقائق الرجال) رواه أحمد.

المرأة إذن مخلوق مكرم تماما كأخيها الرجل. هذه هي نظرة الإسلام للمرأة وجميع التشريعات التي جاء بها الإسلام هي في مقصدها النهائي لتعزيز هذه الكرامة الإنسانية، لقد جاءت حزمة التشريعات الإسلامية المتعلقة بالمرأة لتنشلها من درجة مخلوق لا رأي له ولا قيمة أكثر من كونه أداة متعة وتسلية يلعب بها ثم تُلقى جانبا إلى إنسان كامل المسئولية مكلف بالأمانة .. ربما يختلف الدور الذي تلعبه المرأة عن الدور الذي يلعبه الرجل في بعض مساحات الحياة بما يحقق خير البشرية ويؤدي إلى منظومة متكاملة متآزرة فكانت مساحة الحياة الأسرية أكبر في حياة المرأة

(*) كاتبة مصرية.

باعتبارها الحاضنة الأولى للنشء وعلى عاتقها تقع المسئولية الكبرى في التربية ومن أجل ذلك وضعت التشريعات التي تحقق للمرأة القيام بتلك الوظيفة الإنسانية الراقية والتي تمنحها الأمن اللازم للنهوض بهذه المهمة بالغة الصعوبة.

زواج الجاهلية

عندما جاء الإسلام كان هناك عدد من صور الزواج كما روت لنا السيدة عائشة رضي الله عنها (أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليّته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها.

ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل.

ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم) رواه البخاري.

فكل صورة من صور الزواج لا تحقق الأمن للمرأة والحماية والرعاية الكاملة للأبناء أهدرها الإسلام وأبقى الصورة الوحيدة المتوافقة مع الفطرة الإنسانية السليمة ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة].

لقد اهتم الإسلام اهتماما بالغا بمسألة الزواج والأسرة حتى أن كثيرا من هذه الأحكام جاءت مفصلة بدقة في القرآن الكريم ولو قارنا بين آيات الأحكام التي تتحدث عن النظام السياسي وقارناها بتلك التي تتحدث عن النظام الاجتماعي فسوف نجد مفارقة كبيرة ففي حين ثمة توجيهات عامة ومبادىء أساسية للنظام السياسي فإن هناك تفصيلات لأدق التفاصيل في مسألة النظام الاجتماعي، ولعل الحكمة في ذلك أن النظم السياسية تتطور وفقا لحاجة العمران وتختلف صورها من عصر لعصر فلا تحتاج إلا للخطوط العريضة والفلسفة العامة بينما الحياة الاجتماعية تتسم بالمحافظة وبقوانين لا تختلف من عصر لعصر أو مع تطور المدنية.

ولو ألقينا نظرة على كتب الفقه فسنجد أن أحكام الأسرة تأخذ حيزا كبيرا جدا ربما يقارب الحجم الذي تأخذه العبادات ولو تأملنا المقاصد الكلية لهذه الأحكام فسنجد أنها تدور حول معاني العدل والرحمة والأمان والاستقرار وغيرها من القيم العليا التي ينبغي أن تهتدي بها الإنسانية.

ولكن ويا للأسف فإن هناك تفريطا في هذه المنظومة القيمية التشريعية المتكاملة سواء في الجهل ببعض أحكامها أو تجاهله أو تشويهه ولو ضربنا مثلا بذلك قضية الزواج المؤقت أو زواج المتعة التي عادت لتحتل جزءا

من مشهد الحياة الاجتماعية خاصة بعد قيام الثورة الإيرانية القائمة على مذهب الشيعة الإمامية والتي أعادت الحياة لملف من أخطر الملفات التي تهدر كرامة المرأة وإنسانيتها وتعصف بحقوقها ومكتسباتها وتخلخل بناءها النفسي بعد أن تفقد أهم الحاجات الإنسانية وهي الحاجة للأمن .. أعني بذلك الملف الأسود «زواج المتعة».

نظرة تاريخية:

لو ألقينا نظرة سريعة على قضية زواج المتعة في عهد التشريع فسنجد أنها مثل الكثير من الأحكام التي تتفاعل مع الوسط الحركي المتغير للجماعة المؤمنة فكما حرمت الخمر بالتدريج وأغلق باب العبودية بتشريعات استراتيجية إن صح التعبير فإنه كان هناك إباحة لهذا اللون من الزواج لفترات قصيرة تحت وطأة الضغط الشديد الذي كان يعانيه المجاهدون الشباب في الغزوات البعيدة في مناخ شديد الحرارة يلهب الغريزة، وقرب العهد بصور متنوعة من حالة السيولة الجنسية التي كان يعاني منها المجتمع الجاهلي حتى أن البعض بلغ به الصراع بين الغريزة الجنسية غير المشبعة والوازع الديني حدا أن يطلب من النبي الخصاء لقطع دابر هذه الغريزة الملتهبة فكان زواج المتعة ولم يلبث أن حرم تحريما نهائيا إلى يوم القيامة، يقول النبي ﷺ (يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع بالنساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) رواه مسلم.

الآثار الاجتماعية

وبعيدا عن الخوض في أدلة التحريم ومناقشة الشيعة الإمامية الذين شذوا برأيهم هذا عن إجماع الأمة بأدلة متهافتة وخصومة سياسية ضخمة فإننا سننظر في الآثار المرة على المرأة والأسرة والمجتمع التي يخلفها نظام المتعة في البيئات الشيعية التي أخذت به.

لعل أسوأ الآثار على الإطلاق العودة بالمرأة إلى عصور الانحطاط والنظر إليها كسلعة .. بضاعة .. مجرد جسد بلا روح أو قلب والانحطاط بالزواج إلى شكل بهيمي خالص لا يسعى لغير المتعة الجسدية بصورة حيوانية بحتة. إنه زواج بلا حقوق أو ضمانات للمرأة مجرد دراهم معدودة تؤخذ في نهاية المدة المحددة للمتعة تماما كالبغي.. نفس التستر والكتمان.. لا شهود ولا إشهار ولا نفقة ولا صداق ولا حفل ولا عرس ولا فرحة ولا حب ولا سكينة.. لا شيء على الإطلاق إلا إطفاء سعار الغريزة ثم ينتهي كل شيء بعد ساعة بعد يوم بعد شهر.. وعلى المرأة أن تعتد من هذا السفه وتنتظر رجلا آخر يفعل بها مثل ما فعل الأول ثم يلقيها وهكذا بلا أمل ولا كرامة تعيش تلك المرأة.

قد تأخذ كل احتياطات منع الحمل الحديثة ورغم ذلك يحدث الحمل وقد لا تستطيع أخذ هذه الاحتياطات لطبيعة الانفعال والعجلة اللذين يحيطان بهذه العملية وبالتالي يحدث الحمل الذي لا يرغبه الرجل الذي يسعى لهذا الزواج الذي لا يتحمل فيه عبء أي مسئولية فيرفض الاعتراف بالطفل.. وهذا هو الواقع الذي لا يريد علماء الشيعة أن يقروه رغم أن مذهبهم لا يجبر الأب على الاعتراف بالابن ولا حتى عن طريق الملاعنة وبالتالي فأمام المرأة المسكينة أحد ثلاث طرق:

- الإجهاض وقتل النفس البريئة بل ووفاة

الأم ذاتها فهناك آلاف الإيرانيات اللاتي يتوفين كل عام جراء عمليات إجهاض بسبب المتعة.

- إلقاء الطفل على قارعة الطريق لقيطا مشردا .. اعترف رفسنجاني منذ سنوات أن هناك أكثر من ٢٥٠ ألف طفل لقيط في إيران بسبب المتعة.

- الاحتفاظ به ومواجهة مستقبل مظلم محفوف بالفقر والعار لمجهول النسب.

وهذا يدفعنا للجريمة الثانية جراء زواج المتعة، هي هؤلاء الأبناء الذين لا يعترف بهم وحتى لو تم الاعتراف بهم فإن نظرة المجتمع تبقى نظرة دونية لهم، إنهم يفتقدون الحاجة للأمن والحاجة للحب والحاجة للتقدير والحاجة للانتماء وهذه الحاجات أساسية في البناء النفسي للطفل والمراهق وعندما يتخلخل هذا البناء النفسي فلا شك أن النتيجة ستكون وخيمة وإلا فهل يرضى أي من المراجع الشيعية الكبرى أن يُعرف عنه أنه ابن متعة؟! يكفي في ذلك أن أحد المرجعيات الشيعية الكبرى عندما سئل: هل تقبل أن تتزوج ابنتك زواج متعة؟ صمت وتجاهل الإجابة وفي ذلك أبلغ دليل على أن الفطرة لا تقبل أبدا هذا السِّفاح والامتهان.

ولعل من آخر المصائب التي تم اكتشافها كأثر من آثار زواج المتعة هو ارتفاع معدلات الإصابة بمرض الإيدز نتيجة لهذه الكثرة غير المحسوبة في عدد مرات التمتع فمن الممكن أن يتمتع الرجل كل يوم بامرأة مختلفة ومن ثم يصبح من السهولة بمكان انتقال فيروس الإيدز وكافة الأمراض الخطيرة التي تنتشر بالاتصال الجنسي وفي هذا من الضرر على الأمة ما لا يجهل بحال.

هل المتعة حل لمشكلة الزنا؟

زواج المتعة لم يقدم أي حل للمشكلات الاجتماعية فلم يتوقف البغاء والزنا (على فرض أن المتعة ليست زنا) فعلماء الشيعة يزعمون أن المتعة هي التي ستغلق الباب نهائيا في مواجهة الزنا حيث لا عذر للزاني، فمجرد اتفاقه مع الأنثى وترديده لبعض الكلمات الشفهية بلا شهود وفي سرية تامة ومقابل مادي بسيط سوف يتم التنفيس عن الرغبة الجنسية.

لو صدق مثل هذا الكلام المتهافت على الرجل وظن أنه بذلك لا يتعدى حدود الله فماذا عن المرأة الفقيرة التي تحترف البغاء كمهنة (في إيران وحدها أكثر من ١,٧ مليون فتاة وسيدة أي قرابة ٦ في المئة من النساء الإيرانيات فررن من منازلهن وانتهى الأمر بهن إلى ممارسة الفاحشة) هل ستنتظر حيضتين حتى تتزوج متعة مرة أخرى؟ أمر لا يمكن تخيله لفتاة بغاء تحترف الفاحشة فكيف إذن يحل زواج المتعة مشكلتها؟ حتى لو مارسته في دور تشرف عليها وتديرها الدولة كبيوت العفاف الإيرانية وما هي إلا بيوت الرذيلة والاتجار بأجساد النساء وكرامتهن.

إن زواج المتعة لا يمنح بصيصا من النور لهؤلاء البائسات اللاتي كنّ بحاجة لفرصة للتوبة ومنحهن فرصة للحياة النظيفة في بيت يظلله الأمان والاستقرار.

المد الشيعي حول العالم
خلل الرؤية.. يضلل الموقف والقرار
كتاب الفصل بين الحق والباطل

عرض ونقد: أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

«المد الشيعي حول العالم» هو الإصدار العاشر من سلسلة (قضايا إيرانية) التي يصدرها مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، والذي يشرف عليه أ.د جمال عبد السميع الشاذلي، أما هذا التقرير الذي صدر في ٢٠١١م فكان بإشراف أ.د محمد نور الدين عبد المنعم.

وبحسب صفحة المركز على شبكة الإنترنت فهو «وحدة ذات طابع خاص تابعة لجامعة القاهرة، ويزاول نشاطه منذ مطلع عام ١٩٩١م، ويعتمد عمل المركز على مكتبة جامعة لكافة تخصصات الدراسات الشرقية والدراسات الأخرى المساعدة».

أما الأهداف العامة له، فمنها: إعداد الدراسات والبحوث الهادفة إلى خدمة المجتمع الجامعي وتحقيق المصلحة القومية للوطن، وإعداد الدراسات في مجال الدراسات الشرقية مثل مؤتمرات الاستشراق والأديان ودعم التواجد المصري في هذه المحافل العلمية للمساعدة في تقديم التصور السليم للقضايا المعروضة من وجهة النظر العربية والإسلامية.

ومن أهداف المركز أيضاً: إعداد البحوث والدراسات التي تطلبها الجهات الرسمية المعنية بقضايا ترتبط بالدراسات الشرقية، وفي مقدمة هذه الجهات: وزارات الخارجية والإعلام والثقافة والتعليم والأوقاف، وكذلك المراكز البحثية المتخصصة، وتوحيد الجهود العلمية المشتتة في مجال الدراسات الشرقية، وتنظيمها، ووضع فلسفة عامة موجهة لها، وتوحيد الرؤية الفكرية العامة للمتخصصين حول الأهداف القومية لتحقيق فائدة مصر والوطن العربي والإسلامي.



وما أجملها من أهداف وغايات لو أنها فعلاً تتوفر في نتاجات المركز، ولكن أستطيع أن أقول بخصوص هذا الكتاب «المد الشيعي حول العالم» أنه كتاب مهم في بابه ومن الجهة التي أصدرته ولكنه قليل الجودة إن لم يكن مضرا ومضللا لقارئه وخاصة إذا كان من أصحاب وصناع القرار والرأي، وهو عكس ما يتوجب أن

(*) كاتب أردني.

تكون الغاية من إصداره!!

الكتاب يقع في ١٨٠ صفحة من القطع الكبير، وهو يتضمن دراسة تمهيدية بعنوان: المد الشيعي الإيراني بين الثورية والقومية للدكتور محمد العيد عبد المؤمن، ثم الفصل الأول الذي يتناول التشيع في أفريقيا، والفصل الثاني عن التشيع في آسيا، والفصل الثالث عن التشيع في أمريكا وأوربا، ويختم الكتاب بتعداد الشيعة في العالم.

أهم ما جاء في بحث د. عبد المؤمن إقراره بوجود مشروع شيعي إيراني يسعى لمد نفوذه في الدول المجاورة عبر استغلالهم للتجمعات الشيعية في الدول الأخرى.

لكن من جهة أخرى هذه الدراسة التمهيدية تشكل نموذجا لخلل الرؤية للتشيع ولإيران، فرغم أن د. عبد المؤمن متخصص في الشؤون الإيرانية إلا أنه لا يفهم التشيع ولا يفهم تأثيره على السياسة الإيرانية، وهذا أيضاً حال المشرف العام د.محمد عبد المنعم.

فمثلاً د. عبد المؤمن يعتبر أن الفكر الشيعي يتميز بالتجديد، وأن نظرية ولاية الفقيه ألصق بها تهمة الميل للعنف!! وأن الشيعة حريصون على الوحدة الإسلامية والشاهد على ذلك تأكيد هاشمي رفسنجاني على ذلك في لقائه مع القرضاوى على شاشة قناة العربية!!

وهذه التخبطات في فهم التشيع سببها ضعف الثقافة الشرعية الصحيحة التي تحاكم الفرق والمذاهب لأصولها، وهذا الضعف في مصر لا يقتصر على الأكاديميين غير الشرعيين بل إن كثيرا من الأزهريين لا يفهمون حقيقة التشيع، ومما يدلل على هذا الصحوة الجديدة في الأزهر للخطر الشيعي والمتمثلة في إصدارات مجلة الأزهر والمحاضرات التي يقيمها الأزهر وخاصة د. محمد عمارة لكشف حقيقة التشيع وخطورته، بعد أن كان د. عمارة نفسه مخدوعا بالتشيع ويؤمن بخرافة التقريب بين السنة والشيعة.

وهذا الخلل في فهم العقيدة الشيعية يجعل من تحليلات د.عبد المؤمن وغيره لسياسات الشيعة وإيران غير سديدة إلا ما ندر لأنهم يحللونها بمقاييس علمانية (ليبرالية، ماركسية، حداثية) لا تجدي لفهم تناقضات سياسات التشيع.

وبسبب هذا الخلل في الرؤية عند هؤلاء الأكاديميين المتخصصين بإيران، تقوم إيران اليوم باستقطابهم ليكونوا مدخلها لهذه الدول والمجتمعات وخاصة بعد توتر علاقاتها بالجماعات الإسلامية وخاصة الإخوان المسلمين الرافضين لتأييد إيران لبشار الأسد في حربه الوحشية ضد الشعب السوري الأعزل.

فعقب الثورة المصرية سارعت إيران لدعوة كثير من شرائح المجتمع المصري لزيارتها وخاصة الإعلاميين والأكاديميين، ومن آخر هذه الزيارات زيارة في شهر ٢٠١٢/٥ شارك بها د. عبد المؤمن ود. عبد المنعم وهي خاصة بالأساتذة المصريين المتخصصين فى اللغة الفارسية وقد بلغ عدد المشاركين ٦٠ أستاذا جامعيا وأكاديميا!!

وقد كتب عن هذه الرحلة د. عبد المؤمن في مجلة مختارات إيرانية عدد ......، وكتب د. عبد المنعم عنها كذلك فقال: «واليوم وبعد قيام الثورة المصرية المباركة فى الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١ بدأت قلوب المصريين تهفو إلى عودة العلاقات مرة أخرى مع إيران، بل إن بعض المرشحين لمنصب الرئاسة فى مصر وأثناء الدعاية الانتخابية صرحوا بأن من ضمن أولوياتهم عودة العلاقات الطبيعية مع إيران، لأن مصر دولة كبرى وإيران أيضا دولة كبرى، والتعاون بينهما لا شك سوف يصبّ فى صالح الدولتين وفي صالح العالم الإسلامى»[1].

وفي مقال تالٍ كتب يقول: «في يوم السبت الموافق ١٦ اردیبهشت عام ١٣٩١ش (٥- ٥- ٢٠١٢) دعي وفد أساتذة اللغة الفارسية بالجامعات المصرية لزيارة جامعة المذاهب الإسلامية (دانشگاه مذاهب إسلامي) ... وتعدّ هذه الجامعة من أكبر الجامعات الإيرانية في مجال دراسة الفقه والقانون في المذاهب الإسلامية. وتقوم الجامعة بإتاحة الفرصة المناسبة للدراسة في مراحل البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، ... وتشتمل هذه

(١) مقال بعنوان (لقاء مع وزير خارجية إيران) ٢٠١٢/٦/١، منشور على صفحة الأهرام الرقمي.

الجامعة على ثلاث كليات هي: كلية فقه وقانون المذاهب الإسلامية (الإمامية والشافعية والحنفية) وكلية علوم القرآن والحديث، وكلية الكلام والفلسفة والأديان .... وفي لقاء الأساتذة المصريين مع رئيس الجامعة ألقى سيادته كلمة رحب فيها بالأساتذة المصريين، وألقى كاتب هذه المقالة كلمةً شكَر فيها المسئولين عن الجامعة على دعوتهم الكريمة لزيارة هذه الجامعة، وأعرب عن دهشته لوجود مثل هذه الجامعة في إيران، حيث تدرس المذاهب الإسلامية المختلفة بها دون تفرقة أو تعصب لمذهب معين، وأن مثل هذه الدراسة ومثل هذه المؤسسات التعليمية تساعد على التقريب بين المذاهب تحت لواء الاسلام الحنيف»[1].

وإنني أتعجب من انخداع د. عبدالمنعم بهذه الجامعة التي لم نشهد لها أثرا في التقريب ونشر السنة بين الإيرانيين الشيعة على غرار جهود دعاة التقريب السنة من الأزهر وغيره في أوساط السنة!!

وإيران لما أدركت أن هناك فرصة سانحة للتغلغل في الدول السنية من خلال الأكاديميين قامت بعقد مؤتمر خاص بعنوان «مؤتمر أساتذة الجامعات والصحوة الاسلامية» بطهران في ٢٠١٢/١٢/١٠، ومن هنا تأتي خطورة مثل هذه الأبحاث الأكاديمية التي يفترض أنها بمثابة النور والمصباح لصناع الرأي والقرار، ولكنها في الحقيقة تضليل وترويج للأجندة والدعاية الإيرانية، وهو ما سيتضح أكثر في فصول الكتاب التالية.

تناول الفصل الأول محور التشيع في أفريقيا، وفيما عدا البحث الأول عن التشيع في شرق أفريقيا والذي تناول فيه د. يحيى داود عباس تاريخ العلاقات الفارسية بشرق أفريقيا من قبل الإسلام وقبل الميلاد حتى، فإن باقي دراسات هذا الفصل وسائر الفصول التالية هي أبحاث شيعية مترجمة تعرض الرؤية الشيعية لتغلغلها في أفريقيا وتهاجم أعداء المد الشيعي في أفريقيا وفي أوساط المسلمين وبخاصة السلفيين الذين ينبزونهم باسم الوهابية!!

فالبحث الثاني من ترجمة د. عبد المنعم وهو لم يبين مصدر البحث الذي تناول التشيع في عدة دول هي: جزر القمر، نيجيريا، السودان، مصر، أثيوبيا، تنزانيا، تونس.

وكل المعلومات الواردة في الترجمة هي معلومات شيعية دون أي مناقشة أو تفنيد أو تحليل، ولذلك فالقارئ العادي - ولو كان مسؤولا - سوف يصدق أن التمدد الشيعي شيء عادي وطبيعي ولا يسبب أي اضطرابات وهو وجود قديم وكبير ولا يرتبط بإيران كما عرض في البحث!

البحث الثالث ترجمه أيضاً د. عبد المنعم وكان عن طقوس عاشوراء في أفريقيا، وهو مترجم من موقع وكالة أهل البيت للأنباء (أبنا) الشيعي، وطبعا المقال هو دعاية شيعية خالصة!!

أما الفصل الثاني والخاص بالتشيع في آسيا فهو عبارة عن ترجمة لعدة أبحاث شيعية دعائية تناولت عدة دول هي:

بحث عن أذربيجان هو بالأصل بحث من كتاب «الهوية القومية في جمهورية أذربيجان» وأخذ عن موقع «أبنا» الشيعي!!

بحث مترجم دون مصدر عن التشيع في أذربيجان بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

بحث د. أحمد السيد محمد أبو الجود عن المواطنين الشيعة في خليج فارس، وبداية هذه سقطة كبيرة أن يسمى الخليج العربي بخليج فارس في تقرير علمي من مركز أبحاث عربي مصري جامعي!! ونفس الباحث مؤيد للشيعة بشكل ظاهر، فهو يجعل الشيعة هم سكان ضفتي الخليج وهي مغالطة كبرى فالعرب هم سكان ضفتي الخليج ولكن التهجير القسري للعرب من قبل الفرس غيّر ديمغرافية السكان حالياً، كما أن الباحث يروج لخرافة أكثرية الشيعة في البحرين وأن نسبتهم في الكويت هي ٤٠٪، بينما هم لا يتجاوزون

[1] مقال بعنوان (زيارة لبعض معالم طهران وجامعاتها ومؤسساتها الثقافية) منشور على بوابة الأهرام الرقمية في ٢٠١٢/١٠/١.

٢٠٪!!

ثم يختم بحثه بقوله: ومما يبعث على الأسى أنه في الدنيا التي يتمتع فيها حتى الحيوانات بحقوقهم وحرياتهم ويثير أقل تعد عليها اعتراض البعض، يحدث الإجحاف في حق الشيعة!! ولا تدري هل هذا الباحث يتحدث عن شيعة الخليج الذين لا تقْدر الأنظمة على ردعهم عن تجاوزاتهم أم يتحدث عن خيالات وأوهام، أم أنه صاحب أجندة وغرض إيراني ينفذه في مثل هذا التقرير الأكاديمي من أعرق الجامعات العربية!!

والبحث الثالث هو أيضاً للدكتور أبو الجود عن جغرافية شيعة أفغانستان وهو من ٤ صفحات وقد نقل من مواقع شيعية فيما يبدو.

والبحث الرابع عن شيعة فلسطين، وقد ترجمه صالح شبل دون ذكر المصدر، ولكن يبدو أنه مترجم من الإنجليزية، فأول فكرة فيه هي: «تعد تعبئة الجماهير من أحد مؤشرات التيار الإسلامي، والتي تتمثل في فرعين رئيسيين هما الوهابية والشيعة التقدمية، وبالقدر التي تنبعث من السلفية رائحة العنف والدم، فإن التشيع يفوح بعطر التقارب والتعامل»!! وبقية البحث محاولة لإيجاد جذور شيعية قديمة في فلسطين، وأن التشيع اليوم ينتشر بهدوء وقوة ويتجاوز ضيق أفق السلفية!!

البحث الخامس (من صفحتين) عن شيعة البحرين لنفس المترجم دون ذكر مصدر، وهو يرصد سياسة «الأمير» حمد تجاه الشيعة وأنها تتسم بالانفتاح لكن هل ستستمر؟ وهذا لا علاقة له بعنوان البحث، ويشي بأنه قديم جداً إذ الأمير حمد استلم الإمارة سنة ١٩٩٩م ومن ثم أصبح الملك حمد سنة ٢٠٠٢م، وهذا التقرير صدر سنة ٢٠١١م فعن أي موضوعية ومهنية نتحدث؟؟

الفصل الثالث تناول الشيعة في الغرب، وفيه ثلاثة أبحاث، هي:

شيعة أمريكا للدكتور محمد حسن الزيبق ويبدو أنه إيراني، وبحثه أشبه بتقرير وصفي عن انقسامات الشيعة هناك، فهو يجعلهم قسمين: قسما شيعيا أصيلا من أصل إيراني وعراقي غالبا ويلحقهم لبنانيون وباكستانيون، والقسم الآخر هو الشيعة الأمريكان من السود والبيض، والذين تشيعوا من خلال بوابة التصوف على يد جماعة نعمت الله الدكتور نور بخش وجماعة الشيخ فضل الله حائري العراقي، والغالب على الشيعة الانقسام بحسب اللغة والعرقية.

بحث عن شيعة فرنسا لنفس الباحث، وهو أيضاً تقرير وصفي سريع لعددهم وجنسياتهم ووظائفهم، ومؤسساتهم، ومثله بحث عن شيعة إيطاليا، برغم تهجمه على معارضي التشيع. وهذا الفصل على قلة حجمه ودقته إلا أنه أفضل ما في الكتاب.

وجاءت خاتمة الكتاب بمقال عن تعداد الشيعة في العالم من إعداد د. صالح شبل، ولعل المعلومة الصحيحة من عشرات الأرقام التي ذكرها هي أن نسب الشيعة في العالم ١٠٪ من المسلمين، أما بقية المعلومات فهي غير صحيحة على غرار أن غالبية العراق واليمن شيعة!! وأنهم في سوريا وأفغانستان كثيرون!!

أما حين يورد نسب الشيعة فنجد العجب مثل: أن نسبة الشيعة في البحرين ٦١,٣٪، ونسبتهم في إيران ٩٤٪ والبقية مذاهب وأديان أخرى، وهكذا يكون شطب السنة في إيران الذين يمثلون على أقل التقديرات ٢٥٪!! وفي العراق يجعل الشيعة ٦٢,٥٪ والسنة ٣٤,٥٪، فإذا كان الأكراد معروف أنهم حوالى ١٧٪ فإن العرب السنة يكونون مثلهم في النسبة وهذه مغالطة مكشوفة!! أما الكويت فيجعل الشيعة فيها ٣٠٪ والسنة ٤٥٪ والباقي مذاهب أخرى، وحاول أن تعرف بقية مذاهب ٢٥٪ من سكان الكويت إذا لم يكونوا سنة ولا شيعة؟

ومع هكذا أرقام مغلوطة عن نسبة الشيعة في الدول من تقرير علمي أكاديمي لا نتعجب أن الرئيس المخلوع حسني مبارك يصرح في إحدى كلماته عام ٢٠٠٦ أن نسبة شيعة العراق ٦٥٪ فبالتأكيد كان يعتمد على مثل هذه الدراسات المغلوطة.

وختاماً: لقد أطلْت النفس في عرض ونقد هذه الدراسة بسبب خطورة بقاء الوضع هكذا في مراكزنا العلمية والبحثية في الجامعات العربية ونحن نخوض معركة البناء والخروج من الهيمنة الغربية ولا نريد أن نقع في فخ الهيمنة الإيرانية بواسطة أكاديميين مخترقين إيرانياً.

مأساة!

قالوا: كشف مركز البحوث والدراسات في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن ٥٩٪ من الشباب السعودي يمارسون سلوكيات دخيلة على المجتمع تتفاوت بين سلوكيات محرمة وأخرى مكروهة، وتتعلق غالبيتها بارتداء ملابس عليها صور بنسبة ٤٣٪، وقلائد وأساور بنسبة ٢٦٪، وقص الشعر على شكل «كدش» بنسبة ٢٤٪، إضافة إلى مخالفات أخرى.

العربية نت ٢٠١٢/١٢/٢٥

بركات اتفاقية سيداو!

قالوا: دعا الناشط اليساري «علاء عبد الفتاح» إلى التحرر والسماح للشواذ جنسيًا بالزواج، واعتبره حقًا لهم!!

موقع دنيا الوطن ٢٠١٣/١/٥

إيران لا تتدخل في شؤون الجيران!

قالوا: وأعرب عن قلق بلاده إزاء خارطة الطريق التي أعدتها الحكومة الأفغانية بعد رحيل القوات الغربية، خاصة إمكانية السماح بإشراك حركة طالبان في الحكم مع تسارع جهود التوصل إلى سلام قبل انسحاب القوات الغربية.

سعيد جليلي، أمين المجلسِ الأعلى للأمنِ القومي الإيراني

الوطن السعودية ٢٠١٣/١/٥

لم يفقد الأمل في الملالي بعد!

قالوا: ما يمكن أن نقوله في هذا السياق هو أن إيران تتخبط في حركتها السياسية بشكل واضح، والسبب الأهم هو خوفها من سقوط بشار، وما سيترتب عليه، ليس فقط على منجزاتها في العراق ولبنان، بل وهو الأهم، تأثيره على وضعها الداخلي في ظل تصاعد العقوبات واحتمال اندلاع انتفاضة داخلية.

قلنا من قبل إن إيران ستدرك ذات يوم ليس ببعيد أن دعمها لبشار الأسد في حربه ضد شعبه سيكون القرار الأسوأ في تاريخها منذ انتصار الثورة نهاية السبعينيات.

ياسر الزعاترة – الدستور ٢٠١٢/١٢/٢٣

حقيقة مرة

قالوا: في لبنان تشكَّل حزب إسلامي سني تبنّى المقاومة كخيار استراتيجي وكمعيار مركزي، وقد دعاني أمينه العام للقاء خاص، وإذا به يقول: إني غير مقتنع بكل التصنيفات المذهبية أو الطائفية إلا بتصنيف واحد وهو التصنيف على أساس المقاومة، وبما أن إيران هي الدولة الإسلامية الوحيدة التي تتبنى المقاومة فيجب على كل المسلمين في العالم أن يتنازلوا عن خصوصياتهم المذهبية ويلتحقوا بركب المقاومة الذي تقوده إيران، قلت له: ماذا فعلت أنت؟ قال: لقد ذهبت إلى الخامنئي وبايعته

على هذا!

ربما يكون هذا الرجل مغررا به، وربما يكون نفعيا مصلحيا، ولكن طول الحوار معه أقنعني أننا نرتكب إثما غليظا حينما نستخدم بعض الشعارات السياسية من مثل «لا فرق بين السنة والشيعة» و«إخوان سنة وشيعة».

محمد عياش الكبيسي –
العرب القطرية ٢٠١٢/٧/١٧

من سيربح؟

قالوا: الرهان... أن يكون ولاء النواب الشيعة المطلق، وهم يمارسون ما سوف يكون عليهم أن يمارسوه تحت قبة البرلمان، للدولة الكويتية، والوطن الكويتي، والمواطن الكويتي، والأرض الكويتية، لا للمذهب، ولا لأي شيء آخر قد يطوف في الأذهان!

سليمان جودة –
الشرق الأوسط ٢٠١٢/١٢/١٦

لا تضخموا الأمور!!

قالوا: أكد القضاء اليمني أمس الأحد تورط النظام الإيراني في تهريب الأسلحة لعناصر متمردة داخل البلاد. فقد رفضت المحكمة الجزائية المتخصصة بالعاصمة اليمنية صنعاء، طلب الاستئناف المقدم من السفارة الإيرانية بصنعاء في الحكم الابتدائي الصادر في قضية السفينة الإيرانية المحملة بالأسلحة التي ضبطت قرب جزيرة مرين أمام سواحل مدينة ميدي اليمنية على البحر الأحمر.

وكانت المحكمة الابتدائية الجزائية المتخصصة بأمانة العاصمة قضت في ٢٥ من أكتوبر ٢٠١١ بإدانة ستة بحارين إيرانيين بتهمة دخول الأراضي اليمنية بطرق غير شرعية، والاكتفاء بمدة الحبس السنتين التي قضوها في السجن من تاريخ إلقاء القبض عليهم وترحيلهم من الأراضي اليمنية. كما قضى الحكم بمصادرة السفينة وشحنة الأسلحة المضبوطة على متنها وتوريدها إلى خزينة وزارة الدفاع والتي تشمل ٢٠٠٠ بندقية آلي، و١٥٠ ألف طلقة آلي، و٢٠٠ قطعة رشاش معدل، و١٠٠ ألف طلقة رشاش معدل، و١٠٠ قطعة مدفع هاون عيار ٨٢ مل، و٥٠ ألف قذيفة هاون عيار ٨٢ مل، و٢٠٠ قاذف بازوكا، و ٥٠٠٠ قذيفة آر بي جي.

وكانت الداخلية اليمنية أعلنت في يوليو الماضي عن ضبط شبكة تجسس إيرانية تعمل منذ ٧ سنوات ويقودها ضابط سابق في الحرس الثوري الإيراني وتدير عمليات تجسس في اليمن والقرن الإفريقي.

موقع المسلم ١٤٣٤/٢/١٠

حتى هؤلاء لم يسلموا من التشيع!

قالوا: أكدت الشركة الإسبانية «ميديابرو»، التي تبث عبرها قناتا التلفزيون الإيراني «برس تي في» و«هيسبان تي في» وقف بث المحطتين من قبل المجموعة المشغلة للأقمار الاصطناعية الإسبانية «هيسباسات»...وكانت المحطتان تشاهدان في إسبانيا وأميركا اللاتينية.

الشرق الأوسط ٢٠١٢/١٢/٢٤

التصنيف السياسي لـ «حزب النور» وعلاقته بـ «الدعوة»

عبد المنعم الشحات – موقع صوت السلف ٢٠١٣/١/٤

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد؛

فماذا نعني بقولنا: إن «حزب النور» هو الذراع السياسي للدعوة السلفية؟ وما هو التصنيف السياسي لـ«حزب النور»؟

أسئلة نحاول أن نجيب عليها في هذا المقال، ولكن قبل الإجابة عليها نود أن نوضح أن حديثنا هنا عن «الدعوة السلفية» كعَلَم على جماعة دعوية منظمة «مجال عملها جمهورية مصر العربية ويقع مركزها الرئيسي في مدينة الإسكندرية» وليس عن التيار السلفي كله والذي يشمل جمعيات ودعاة آخرين؛ نقول هذا دفعًا للبس يقع فيه بعض الذين لا يعرفون تفاصيل الخريطة الدعوية في مصر.

ما هي الدعوة السلفية؟

الدعوة السلفية جماعة دعوية إصلاحية تتبنى السلفية منهجًا والعمل الجماعي المنظم أسلوبًا، وتعتبر عضويتها ميثاقًا بين جميع المنتمين إليها على التعاون على نشر هذا المنهج والالتزام بالشرع فيما فيه دليل وبما تنتهي إليه الشورى داخل مؤسسات صنع القرار داخلها فيما يحتمل النظر.

وتهتم الدعوة السلفية بطلب العلم وتعليمه، وفض المنازعات بين الناس، وبالقيام على حقوق الفقراء والمساكين، ويتم هذا عن طريق مجلس تنفيذي لكل محافظة يُقسم إداريًا إلى وحدات إدارية من المدن والأحياء والمراكز والقرى إلى أن نصل إلى مستوى المسجد الذي يضم تلك الأنشطة جميعها.

وبالإضافة إلى ذلك توجد وحدات نشاط غير المساجد: كالجامعات، والشركات، وغيرها من التجمعات التي ينتشر فيها أبناء الدعوة السلفية للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكل هذه الأعمال تقوم بها الدعوة قبل الثورة وعملت على تقنينها في هيئة جمعية خيرية بعد الثورة، ورغم أن الإصلاح السياسي يعتبر جزءًا من البرنامج الإصلاحي للدعوة السلفية إلا أنه امتنعت منه قبل ثورة «الخامس والعشرين من يناير» كما سنبينه في الفقرة الآتية.

موقف الدعوة السلفية من العمل السياسي قبل وبعد «ثورة ٢٥ يناير»:

رغم الاهتمام الواضح من «الدعوة السلفية» منذ نشأتها بواقع المسلمين في مصر وخارجها مما يمكن أن يطلق عليه: «اهتمام سياسي» إلا أنها كانت رافضة للمشاركة السياسية قبل ثورة ٢٥ يناير.

ويمكن إيجاز أسباب ذلك في الآتي:

أ- المناخ السياسي الذي لم يكن يُسمح فيه

- على الأقل إعلاميًا- بدخول أحد إلى الحلبة السياسية إلا بالتنازل عن الكثير من الأمور الشرعية... وعلى رأسها: القبول المطلق بالديمقراطية الغربية دونما قيد أو شرط! مع تطبيق هذا على أهم الفروع من الكلام على الحرية المطلقة وغيرها من الموضوعات الشائكة.

ب- وفوق هذا فإن التنازل الكبير لم يكن يثمر شيئًا في ظل نظام جامد لا أمل فيه بتغيير حقيقي في السياسات فضلاً عن القانون فضلاً عن الدستور.

ومن هذا المنطلق كان الرفض للعمل السياسي حتى وقعت «ثورة ٢٥ يناير»، ونتج عنها التطورات الآتية:

أ- حدوث حالة سيولة تجعل التغيير ممكنًا على أعلى المستويات وهو الدستور وبالتبع القوانين والسياسات.

ب- على فرض زهدنا في هذا التغيير فإن الدستور لم يكن ليبقى في مكانه، بل كان في اتجاهه إلى مزيد من العلمنة بحذف المادة الثانية أو حذف التعديل الذي أجري عليها عام ٨٠ على الأقل.

ت- وجود واقع جديد يمكن من خلاله أن نقدِّم مفاهيمنا الخاصة فنفصِّل في الديمقراطية ما نقبل منها وما نرفض، ونبيِّن حكم الشرع في كثير من القضايا... وهو ما تم بفضل الله - تعالى- .

وبناءً عليه قررت الدعوة السلفية بقرار من مجلس إدارتها آنذاك «والذي كان يضم في عضويته جميع المؤسسين الذين استقرت اللائحة الداخلية للدعوة السلفية فيما بعد على اعتبارهم مجلسًا خاصًا سمي بمجلس الأمناء» أن تنشئ حزبًا سياسيًا؛ ليكون ذراعًا سياسيًا لها وهو «حزب النور».

فلماذا احتاجت الدعوة إلى إنشاء الحزب؟

ذكرنا في فقرة سابقة أن الدعوة السلفية تتبنى الإصلاح الشامل وميادين هذا الإصلاح هي: «الفرد - المجتمع - الدولة» كما يشمل هذا المنهج جميع الفئات والأنشطة، ووحدة العمل الأساسية في هيكل «الدعوة السلفية» هي المسجد إلا أن هناك إدارات هيكلية أو فنية لتغطية الأنشطة الخاصة، مثل: الأنشطة الطلابية أو العمالية.

ومن ثَمّ فإن التصور المبدئي هو أن يكون العمل السياسي قسمًا من الأقسام الإدارية أو الفنية في الدعوة إلا أن هذا الأمر غير ممكن قانونًا حيث يفصل بين عمل الجمعيات الخيرية وعمل الأحزاب السياسية مما يستوجب إنشاء الحزب ككيان قانوني مستقل مع بقاء الرابطة المنهجية، بل والتكتيكية مع الجماعة الأم وهو نموذج قد يبدو بعيدًا بعض الشيء، ولكنه موجود في عالم السياسة، فمن الأنماط السياسية أن تسعى حركة مجتمعية منظمة «تطلق عليها في هذا السياق جماعة ضغط» لدعم أو إنشاء حزب سياسي، ومن الأمثلة الشهيرة على ذلك: «النقابات العمالية»، و«حزب العمال» في بريطانيا.

ولمزيد من بسط هذه العلاقة نحتاج إلى التعرف على بعض التفاصيل:

١- الحزب السياسي:

الحزب السياسي هو: مجموعة من المواطنين يؤمنون بأهداف سياسية وأيديولوجية مشتركة وينظمون أنفسهم بهدف الحصول على مساندة شعبية، وبالتالي الوصول إلى السلطة وتحقيق برنامجهم.

٢- جماعة الضغط:

جماعة الضغط هي: مجموعة من المواطنين يؤمنون بأهداف سياسية وأيديولوجية مشتركة وينظمون أنفسهم بهدف الضغط على السلطة لتحقيق برنامجهم.

إذن الفرق الجوهري بين جماعة الضغط والحزب هو أن: الحزب يسعى إلى السلطة بينما

جماعة الضغط تسعى إلى الضغط على السلطة الحاكمة؛ إما مباشرة وإما عن طريق الأحزاب.

وعند توصيف حالة الحركة الإسلامية يوصِّفونها سياسيًّا على أنها جماعة ضغط شاملة «وهي التي تهتم بكل الشأن العام ولا تحصر اهتماماتها في أحد الجوانب»، ورغم عدم دقة هذا التوصيف حيث إننا نوصِّف أنفسنا كجماعة إصلاحية شاملة نظرًا لكون هذا النمط غير معروف في الحياة السياسية الغربية؛ إلا أنه قريب منه إلى حد كبير.

تقسيم الأحزاب باعتبار جماهيرية العضوية إلى ثلاثة أقسام:

أ- أحزاب جماهيرية: وهي أحزاب تهتم بكثرة عدد أعضائها في المقام الأول.

ب- أحزاب النخبة: وهي أحزاب لا تلتفت إلى كثرة العدد وتهدف إلى جمع الشخصيات البارزة ذات التأثير المعنوي أو القدرة المالية.

ت- أحزاب تجمع بين النخبة والجماهير: وهي أحزاب تسمح للجماهير بالانضمام للحزب مع بقاء القيادة في يد النخبة.

٣- تقسيم الأحزاب بالنسبة لسياساتها:

أ- أحزاب أيديولوجية: وهي أحزاب تتمسك بمبادئ أو أيديولوجيات وأفكار محددة ومميزة وتجعل التمسك بأيديولوجيتها من أهم شروط عضويتها.

ب- أحزاب براجماتية: وهي أحزاب تهتم بالاعتبارات العملية «الانتصار في الانتخابات» على الاعتبارات الأيديولوجية، فيمكن تغيير الخط العام للحزب وفقًا لتطور الظروف من أجل تجميع عدد أكبر من أصوات الناخبين ولا تشترط الانتماء إلى أيديولوجية معينة كشرط للانضمام إليها.

ت- أحزاب زعامات: وهي أحزاب تلتف حول قائد له كاريزما دون النظر لمنطلقاته ودون وجود مؤسسات حقيقية داخل الحزب.

٤- الماكينات الانتخابية للأحزاب السياسية:

الأحزاب الشعبية تتكون عادة في حالات رواج فكر معين بصورة كبيرة مع وجود حزب ممثل لهذه الفكرة؛ لا سيما إذا كانت فكرته الرئيسية قريبة من قطاع واسع من الشعب، وعادة ما تمتلك الأحزاب الشعبية قدرة عالية على الحشد الانتخابي ويمثلون لها بالأحزاب الاشتراكية في فترات رواجها.

وأما الأحزاب غير الشعبية فلا تمتلك عادة القدرة على الحشد الانتخابي، وإنما تعتمد في الحشد على جماعة الضغط المشاركة لها في نفس الأيديولوجية وهذا هو النمط الأكثر رواجًا، وسواء كان الحزب وجماعة الضغط قد نشأ كل منهما بمعزل عن الآخر أو كانت جماعة الضغط هي التي أسست الحزب فيبقى أن كل توجه أيديولوجي له قاعدة عريضة من المدافعين عنه اصطلحنا على تسميتها: بـ«جماعة الضغط» ومجموعة من الساسة تسعى إلى تمثيله في الحكم وهو الحزب السياسي، ومجموع «جماعة الضغط الأيديولوجية - الحزب السياسي الأيديولوجي» يكافئ الحزب الشعبي من حيث قدرته على الحشد الانتخابي وإن كان يفوقه من حيث قدرته على التنظير السياسي والنقاء الأيديولوجي.

ورغم أن هذا هو النمط السياسي الكلاسيكي حتى إن معظم كتب العلوم السياسية جعلت التجمع على أيديولوجية محددة شرطًا رئيسيًّا في كل من «جماعة الضغط» و«الحزب السياسي» على حد سواء، ولكن وجدت أنماط أخرى من السلوك السياسي ترتب عليه وجود نموذج تحالف «جماعات المصالح - الأحزاب البراجماتية» بديلاً عن تحالف «جماعات الضغط - الأحزاب الأيديولوجية».

ويرجع ذلك إلى عاملين:

الأول: وجود تجمعات كبيرة تلعب دورًا مؤثرًا في الانتخابات ربما يفوق دور جماعات الضغط، ولكنها لا تتبنى نظرية شاملة وإنما لها «مطالب» أو«مصالح»، وهي تبحث عن أي حزب يحقق لها هذه المطالب مما يصطلح على تسميته: بـ«جماعات المصالح».

الثاني: تحول السياسة إلى حرفة، ومِن ثَمّ أصبح الحصول على أغلبية في الانتخابات هو الغاية العظمى عند بعض الأحزاب التي اصطلح على تسميتها بـ«الأحزاب البرجماتية» وهي الأحزاب التي تتخلى عن الأيديولوجية وتبحث لها في كل انتخابات عن حزمة سياسات تتبناها تضمن له تأييد عدد كبير من الناخبين أو من جماعات المصالح، وهذا التخلي إما أن يكون كليًّا وإما أن يبقى معه قدر من الانتماء المجمل لأيديولوجية ما.

إن هذا لا يعني أن الأحزاب الأيديولوجية لا ترغب في الحصول على أغلبية انتخابية، ولكنها تسعى إلى ذلك عبر آلية وحيدة وهي إقناع الناخب بالانحياز إلى «الأيديولوجية» التي تتبناها ولا تسعى لاستقطاب ناخبين على حساب الأيديولوجية.

«يمكن للقارئ أن يطبق تلك المفاهيم على الأحزاب ذات المرجعية الإسلامية في مصر ويبحث عن أثر تلك الأيديولوجية في برنامج الحزب بصفة عامة - برامجه الانتخابية - شعاراته الانتخابية - مواقفه - إلخ... فسوف تجد أن هناك أحزابًا لا يمكن أن تلتبس على أحد أنها ذات مرجعية إسلامية بينما لا يمكن تصنيف البعض الآخر كذلك إلا من خلال انتماء سابق لبعض أفرادها لجماعة إسلامية أو حزب ذي أيديولوجية إسلامية واضحة».

ومن هنا فإننا يمكن أن نجمل الماكينات الانتخابية في أحد هذه الأحوال الثلاثة:

أ- حزب شعبي يعتمد على كوادره في الانتخابات.

ب- تحالف أيديولوجي بين حزب وجماعة الضغط المشتركة معه في الأيديولوجية.

ت- تحالف بين حزب براجماتي ومجموعة من جماعات المصالح.

التوصيف السياسي لـ«حزب النور»

أولاً: حزب النور حزب أيديولوجي:

ذكرنا في مستهل كلامنا أن السبب الجوهري الذي امتنعت فيه الدعوة من العمل السياسي قبل الثورة هو التنازلات التي كانت تفرض على مَن يخوض العمل السياسي قبل الثورة، وأن أحد أهم الدوافع التي دفعتنا إلى خوض التجربة السياسية بعد الثورة هو إمكانية الدفاع عن حقيقة معتقداتنا وهذا يعني أنه لا يوجد أمامنا إلا خيار وحيد وهو تكوين حزب أيديولوجي.

وأيديولوجية الحزب يمكن إيجازها في نقاط ثلاثة:

أ- وجوب مرجعية الشريعة في كل مناحي الحياة.

ب- العمل بالممكن من الشريعة مع العمل على إزالة العوائق أمام غير الممكن.

ت- بيان أن العمل بالممكن لا يعني السكوت عن باقي المطلوب «وهو الشريعة كاملة» أو تحريفه أو تبديله أو الزعم أنه ليس من الدين؛ خلافًا لمن يجعل الممكن والمطلوب شيئًا واحدًا ومِن ثَمّ يدعي أن ما عجز عنه ليس من الدين، فضلاً أن يتطوع بفعل أمور محظورة مجاملة للبعض مع أنه قادر على تركها أو يترك بعض المأمور به رغم أنه قادر على فعله.

وهذه النقطة الأخيرة هي التي تميز الطرح السياسي السلفي، وهذه هي التي تجعل هذا الطرح يُصنف سياسيًّا على أنه أيديولوجي في حين يوصف الطرح الآخر بأنه براجماتي على خلفية

أيديولوجية إسلامية، وربما زادت حدة البرجماتية فيه إلى أن يقارب أن يكون براجماتيًا خالصًا «يوجد في الواقع المصري أحزاب توصف بأنها ذات مرجعية إسلامية، ولكنها تقف موقف الحياد بل ربما الانحياز إلى المعسكر الآخر في أمور تتعلق بمرجعية الشريعة التي من المفترض أنها تمثل الأيديولوجية الأم بالنسبة لهم».

وفي الواقع أنه: لا يمكن تصور حزب سلفي ويكون متبنيًا لغير ذلك وإلا فقد هويته السلفية، وأصبح تكرارًا لتجارب قائمة بالفعل ومن حقنا أن نسأل مَن يتبنى مشروعًا جديدًا هذه ملامحه عن ماذا سيضيف للحياة السياسية عمومًا والإسلامية خصوصًا؟

وهذا ما يجعلنا نتوقف عند دوافع الأحزاب التي تتبنى موقفًا براجماتيًا رغم أن مؤسسيها من أبناء التيار الإسلامي؛ في الواقع أننا سنجد أن هذا يعود إلى أحد أمرين:

الأول: انتماء المؤسسين لمدرسة دعوية تختار هذا المسلك في الدعوة، ومِن ثمّ تنقله إلى السياسة.

الثاني: أن ينتمي المؤسسون إلى مدرسة دعوية «أصولية أو محافظة» - بحسب التعبير السياسي- ، ولكنهم عندما يتجهون إلى العمل السياسي يستغرقون في حساب المقاعد والحصص وهو أمر يحتاج إلى كبير نظر وطول تأمل.

ثانيًا: حزب النور وسط بين الأحزاب الشعبية وأحزاب النخبة:

كان يمكن للدعوة السلفية أن تفرغ جميع أو معظم كيانها داخل حزب النور ليكون حزبًا شعبيًّا ضخمًا إلا أن هذا حال حدوثه سوف يخل حتمًا بتكامل الدعوة في كل المجالات، ومِن ثَمّ تم توجيه الأفراد الذين يمكنهم العطاء بصورة أكبر في العمل السياسي؛ ليؤسسوا الحزب مع فتح باب العضوية للجمهور مع وجود دورات ترقي على مستويين يُدرّس فيهما قضايا سياسية عامة مع ضبطها بإطار المرجعية الإسلامية؛ وذلك لضمان أن تظل قيادات الحزب متقنة لأيديولوجية الحزب من الناحية النظرية.

ولا شك أن العلم هو طريق العمل، ولكن متى خرج أحد أعضاء الحزب عن مساره فإن اللائحة تعالج ذلك بآليات كثيرة.

ثالثًا: العلاقة بين «الدعوة السلفية» و«حزب النور»:

العلاقة بين الدعوة السلفية وبين حزب النور هي أقوى صور الارتباط بين جماعة إصلاح «أو جماعة ضغط شاملة بلغة السياسة» وبين حزب سياسي؛ لأن الدعوة هي التي أنشأت هذا الحزب وهي ماكينته الانتخابية.

وهذا يستلزم التطابق الأيديولوجي بين الدعوة والحزب، وهنا قد يثور سؤال هو: كيفية تحقيق ذلك رغم استقلال الحزب إداريًا بحكم القانون؟

والجواب: إننا لسنا بدعًا من العالم، وقد ذكرنا العلاقة الوثيقة بين النقابات العمالية وحزب العمال في بريطانيا وإن كان علاقة الدعوة السلفية بالحزب أقوى لمراعاة الفرق بين كون الدعوة السلفية حركة إصلاحية شاملة وبين جماعات الضغط الشاملة كما تعرف في العلوم السياسية.

وفي مثل هذه الأحوال فإنه كلما اقترب الأمر من الاستراتيجية كلما ترقب الحزب «ممثلاً في مراكز اتخاذ القرار فيه» موقف الحركة المنشأة له، وكلما اتجه الأمر إلى التكتيك أو الإجراءات الروتينية كلما قل أو زال ذلك التلازم.

ومن الوسائل المتبعة والتي لا يشوبها أي شائبة قانونية ولا سياسية وجود ميثاق ألا يتم حسم بعض الأمور إلا بعد اجتماع مشترك للمكتبين السياسيين لكل من الكيانين.

وهذا كما يحدث الآن بين جبهة الإنقاذ

الــوطني وبــين الأحــزاب الداخلــة فيهــا؛ فــرغم أن كيــان الجبهــة لا يتمتــع بــأي صــفة قانونيــة ورغــم أن الأحــزاب المــشاركة فيهــا تحــتفظ بكــل مؤســسات اتخــاذ القــرار الخاصــة بهــا إلا أن الاتفــاق المبــدئي الــذي بمقتــضاه قــرر كــل حــزب الاشــتراك في هــذه الجبهــة يقتــضي أن يلتــزم الحــزب بــالقرارات الــتي تــصدر عــن هذا التحالف.

بيان من مجمع البحوث الإسلامية على افتراءات رافضية

موقع الأزهر - ٢٠١٢/١١/٨

يؤكِّدُ مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف أنّ حبّ آل البيت أمر لا يُزايد علينا فيه أحدٌ، بل إنّنا نتقرّب به إلى الله - تبارك وتعالى - ولقد دأَب الأزهر الشريف على عدم تكفير أو كراهية أحد من المسلمين، فكيف بآل البيت الكرام، ويؤكد المجمع على أنّ محبة آل البيت طاعة لله ولرسوله - ﷺ - مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الشورى].

والأزهــر الــشريف كمــا عَهِـدَه المــسلمون طــوال عهــوده يجمــع ولا يُفــرّق، يــصلح ولا يفــسد، يــبني ولا يهــدم، ممَّــا أهّلــه لكــي يكــون بيتًــا لجميــع المــسلمين علــى اخــتلاف طــوائفهم؛ ينــضوون تحــت لوائــه، ويجــدون فيــه مَــلاذًا في الملمّــات والمحــن والــشدائد.. هذا هو الأزهر.

جــاء ذلــك خــلال رد هيئــة كبــار العلمــاء علــى مــا جــاء مــن افــتراءات ومغالطــات في بعــض الــصحف، علــى لــسان أحــد مــدّعي التــشيع، موجهــة إلى شــخص فــضيلة الإمــام الأكــبر، الــذي هــو إمــام للمــسلمين جميعًــا علــى اخــتلاف مــذاهبهم وطــوائفهم، وأكَّــد المجمــع علــى حِــرص الأزهــر الــشريف علــى تــدريس جميــع مــذاهب المــسلمين في معاهــده وكلياتــه؛ ممــا أعطــاه ميــزة التعدُّديّــة الفكريّــة الــتي انفــرَد بهــا عــن جميــع المؤسّــسات العلميّــة في العــالم، والــذي جعلــه شــامخًا وكعبــة للعلــم والعلمــاء، فــالأزهر وإمامــه يُمثِّلان ضمير الأمة ورمزًا للوسطية والاعتدال.

إنّ الأزهــر الــشريف إنمــا يتــصدى للــذين يكفــرون صــحابة رســول الله - ﷺ - ومَــن والاهــم؛ ويكفــرون أهــل الــسنة والجماعــة - الــذين يمثلــون ٩٠٪ مــن المــسلمين - والــذين يــسعون إلى نــشر المــذهب الرافــضي في المجتمعــات الــسنية لخلخلــة وحــدتها الفكريــة والثقافيــة، الأمــر الــذي يحولهــا إلى مجتمعــات طائفيــة بأســها بينهــا شــديد، وذلــك حتــى تعجــز عــن التقــدم والخــروج مــن المــأزق الــذي هــي فيــه، وبهــذا المخطــط الخبيــث تتحقَّــق مقاصــد الــصهيونية والاستعمار.

والأزهــر إذ يــستنكر هــذا الــسلوك الــذي لا يتــسق مــع شــيم العلمــاء، والبعيــد عــن المبــادئ والقــيم الإســلامية، لا يمكــن أن يــدخل في مهــاترات جدليــة تثنيــه عــن رســالته الــسامية، الــتي تحمّلهــا طــوال تاريخــه، والــتي ينتظرهــا المــسلمون في مــشارق الأرض ومغاربها.

والله الهادي إلى سواء السبيل

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الشيخ علي عبد الباقي

شيخ الأزهر يفتح النار على شيعة إيران

فتحي مجدي – المصريون ٢٠١٣/١/١٠

طالــب الــدكتور أحمــد الطيــب شــيخ الأزهــر المرجعيــات الكــبرى في إيــران بإصــدار فتــاوى بتحــريم ســب أم المــؤمنين الــسيدة عائــشة - زوج الــنبي ﷺ - والخلفــاء الثلاثــة (أبــو بكــر وعمــر وعثمــان) والــصحابة والإمــام البخــاري رضــي الله عــنهم، مــشددًا في الوقت ذاتــه علــى ضــرورة مــنح أهــل

السنة في إيران حقوقهم الكاملة، أسوة بالشيعة الذين يسيطرون على مفاصل الحكم بالجمهورية الإسلامية.

جاء ذلك خلال استقبال الطيب في مكتبه الخميس علي أكبر صالحي، وزير الخارجية الإيراني، والوفد المرافق له، وجرى خلال اللقاء استعراض تطورات الأوضاع في المنطقة بشكل خاص، وفي العالم الإسلامي بشكل عام.

وقال شيخ الأزهر للوزير الإيراني: «اسمَحْ لي معالي الوزير أن أكون صريحاً معك في طرح انشغالي بصفتي شيخا للأزهر، ومسئولاً - أمام الله وأمام العباد - عن المستضعفين من المسلمين في كل مكان من أرجاء المعمورة، لقد وصلتي وتصلني دائمًا تقارير وأخبار متواترة بل أقول استغاثات من قطاع كبير من إخواننا من أهل السنة والجماعة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كلها تؤكد فقدانهم لبعض الحقوق الأساسية لهم كمواطنين إيرانيين لهم الحق في ممارسة ثقافتهم وتقاليدهم الخاصة وفقههم الخاص، طبقا للحقوق المقررة للأقليات في الشريعة الإسلامية وفي سائر القوانين الدولية».

وأضاف في حديثه لـ «صالحي»: «أنني على ثقة أن تقاليد حسن الجوار وعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول هو القاعدة التي يجب أن تسود علاقاتنا جميعا وبخاصة في منطقة الخليج الحساسة التي يتخذها البعض تكأة للتدخل في الشؤون الدول الإسلامية، وإثارة الإحن فيما بينها، ونحن في غنى عن هذه المشكلات كلها، لنفرغ لمشكلاتنا الحقيقية». وطلب الطيب من صالحي أن ينقل إلى القادة الإيرانيين رفض الأزهر التام للتدخل في شئون مملكة البحرين.

وعن مشكلة اختراق المجتمعات السنية من جانب بعض الناشطين الشيعة، قال شيخ الأزهر: إن هذا يُهدِّد وحدة النسيج الوطني والثقافي والاجتماعي في المجتمعات السُّنِّيّة، والأزهر يرفض هذا رفضًا قاطعًا، ونحن لا نرى تصدير المذهبيات من مجتمع إلى مجتمع آخر، وأحرى بنا التفاهم من أجل النهوض الحضاري للأمة الإسلامية، بدلاً من تبديد الجهود في هذه الأنشطة العَبَثِيّة التي تضر الأمة ولا تنفعها .

وطلب بضرورة أن تصدر فتاوى من المرجعيات الكبرى في قُم وشيراز وغيرها بتحريم صريح حاسم لسب أم المؤمنين السيدة عائشة والخلفاء الثلاثة والصحابة والإمام البخاري رضي الله عنهم؛ لما لهذا التجاوز من آثار بالغة السوء على وحدة المسلمين ومسيرة التفاهم بين السنة والشيعة، وقد تكررت هذه المطالب من رموز وعلماء الشيعة في زيارتهم للمشيخة على مدى العامين السابقين دون أن تتلقى المشيخة ما يفيد الاستجابة لهذه المطالبات.

اجتماعات مكثفة للشيعة المصريين عقب زيارة «صالحي» لمصر

هبه مصطفى جاد – المصريون ٢٠١٣/١/١١

عقد عدد من الناشطين الشيعة سلسلة من الإجتماعات السرية التى دارت فى مجملها عن أهمية تنشيط وتفعيل دور الشيعة فى مصر وإمكانية التوسع فى إقامة الحوزات والحسينيات الشيعية فى مراقد الأولياء أو بجوارها وذلك عقب زيارة علي أكبر صالحى وزير الخارجية الإيرانى لمصر الأسبوع الماضي.

حيث عقد مجلس علوم أل البيت التابع للشيعة المصريين اجتماعا مطولا بمقره الجديد

بشارع مجلس الأمة بحى السيدة زينب لمناقشة تبعات وتطور الأمر فى القضية الشيعية عقب زيارة علي أكبر صالحى وزير خارجية أيران لمصر وناقش الإجتماع ضرورة التوسع فى إنشاء الجمعيات الأهلية الدينية التى تكون مقصورة فى عضويتها وأنشطتها على الشيعة المصريين لتوسع النشاط الشيعى فى مصر.

جديد بالذكر أن عدد من القيادات الشيعية فى مصر قاموا فى وقت سابق لزيارة صالحى لمصر بتدشين أول حوزة علمية شيعية فى تاريخ مصر تحت اسم «مركز علوم آل البيت عليهم السلام»، والذى يقع بشارع مجلس الأمة، على بعد ٥٠ مترًا من مقر مجلس الشعب، بجوار مقر مشيخة الطريقة العزمية بحى السيدة زينب، التى يتزعمها المهندس علاء الدين محمد ماضى أبو العزايم.

شارك فى تدشين الحوزة العلمية الإيرانية بالقاهرة الدكتور عاصم فهيم، رئيس مجلس إدارة مركز علوم آل البيت، والدكتور أحمد راسم النفيس الأستاذ بجامعة المنصورة والمستشار الدمرداش العقالى القاضى الشيعى الوحيد فى مصر ونائب رئيس مجلس الدولة الأسبق والشيعى المصرى محمد سليمان الرئيس الأسبق لمركز علوم آل البيت الذى تم القبض عليه قبل ثورة ٢٥ يناير ضمن خلية شيعية تروج للمذهب الشيعى، تقوم بتوزيع الكتب والمنشورات الشيعية وبحوزته ٦٠ ألف دولار وأحيل للمحاكمة بتهمة الانضمام إلى جماعات محظورة والتبشير إلى ديانات ومذاهب غير معترف بها فى مصر.

كما حضر الافتتاح وتدشين المركز مرجعية شيعية بحرينية حاصل على الجنسية البريطانية ودخل مصر بجواز سفر بريطانيا وليس بحرينيًا. وهذه هى المرة الثانية التى يتم افتتاح مركز علوم آل البيت على نطاق واسع وبموافقة رسمية من الحكومة المصرية باعتباره مركز أبحاث ودراسات تاريخية وكان يرأسه المهندس محمد سليمان والدكتور عاصم فهيم أستاذ الفلزات بجامعة القاهرة والأمين العام والعضو المنتدب لمركز علوم آل البيت.

وسبق أن قام المركز بتوجيه دعوة للشيخ حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله لزيارة مصر وإلقاء خطاب فى جامعة القاهرة عقب حرب لبنان فى عام ٢٠٠٦. ووافق نصر الله على الزيارة وحصل مندوبه الشخصى على تأشيرة من السفارة المصرية فى بيروت لزيارة مصر ودخل مصر فعليًا للتنسيق المسبق للزيارة إلا أن الجهات الأمنية ألغت الزيارة قبل وصول نصر الله بساعات بحجة «الدواعى الأمنية» فاضطر نصر الله إلى إرسال مندوب شخصى عنه قام بزيارة مصر وجامعة القاهرة وألقى كلمة نيابة عن حسن نصر الله فى جامعة القاهرة.

وفى أوائل عام ٢٠١٠ قامت مباحث أمن الدولة بالقبض على محمد سليمان رئيس مجلس إدارة مركز علوم آل البيت بحى الدقى بالقرب من مجلس الدولة وبحوزته مبالغ مالية بلغت ستين ألف دولار أمريكى تقريبًا تلقاها من طهران، وتم تقديمه للمحاكمة وصدر قرار من وزير الداخلية وقتها بإغلاق المركز.

وعلى إثرها فر الدكتور عاصم فهيم، الأمين العام للمركز، هاربًا إلى القطيف بالسعودية ولم يرجع إلى مصر إلا بعد ثورة ٢٥ يناير ليعيد تدشين مركزه وحوزته العلمية الشيعية مرة ثانية.

قضية عرب «الأحواز» المنسية!

جمال سلطان - المصريون ٢٠١٢/١٢/٥

يعقد في القاهرة اليوم الخميس المؤتمر الأول لنصرة الشعب العربي في الأحواز، وهو حدث مهم بكل المقاييس، فلم يسبق أن عرفت قضية الأحواز هذا الاهتمام الشعبي والإعلامي من قبل، لأنها إحدى القضايا المنسية في ذاكرة العرب والمسلمين، مثل كثير من مناطق المعاناة المسلمة التي ننتبه إليها فجأة بعد أن تقع فاجعة أو نسمع عن كارثة إنسانية، وأزعم أن كثيرين من العرب والمسلمين لا يعرفون الكثير عن محنة ملايين العرب في منطقة الأحواز التي سيطر عليها الإيرانيون في ثلاثينيات القرن الميلادي الماضي، بعد أن كانت سلطة عربية مستقلة لها لغتها وثقافتها واقتصادها وتاريخها وعقيدتها الدينية، واعتقل الإيرانيون حاكمها ثم قتلوه مسمومًا في سجنه، ثم عمل الحكم الشاهنشاهي على محو هوية الأحواز فنجح جزئيًا، ثم جاء حكم الجمهورية الإسلامية فمارس عمليات السحق المنهجي لكرامة وحقوق هذا الشعب العربي المنسي.

وفي إطار عمليات سحق هوية ملايين العرب في الأحواز قام الإيرانيون بتفريس كل الأسماء العربية فيها بدءًا من اسم الولاية التي حولوها إلى «خوزستان»، ثم فرسوا اسم العاصمة «المحمرة» فجعلوها «خرمشهر»، وغيروا أسماء الشوارع والميادين إلى اللغة الفارسية، ومنعوا أن تسمي الأسر أبناءها بأسماء عربية إلا ما كان متصلًا بالمذهب الشيعي كجعفر وعلي، ومنعوا ارتداء أي ثوب عربي، ومنعت سلطات الجمهورية الإسلامية تدريس اللغة العربية بشكل شامل، بل ومعاقبة من يضبط متلبسًا بتعليمها، وقامت سلطات الملالي المتطرفة بحملات قمع وحشية زجت بالآلاف من النشطاء العرب في الأحواز في السجون وأعدمت العشرات منهم في مشاهد إعدام علنية بالميادين العامة لترويع الشعب العربي هناك، ورغم أن الأحواز بها خليط واسع من العرب السنة والعرب الشيعة إلا أن البطش الإيراني لا يفرق بين الاثنين، لأنه بطش مؤسس على التحيز العرقي والقومي، وإن كان السنة هناك يعانون بشكل مضاعف حيث لا يسمح لهم ببناء مساجد ولا مكتبات ولا إصدار صحف ومجلات ولا تدريس أي علوم دينية سنية إلا خلسة لمحاولة الحفاظ على الهوية والعقيدة.

والأحواز التي تمثل الجانب الآخر من الخليج العربي، الشط الشرقي منه، عانت كثيرًا من ظلم ذوي القربى، حيث كان المثقفون العرب والسياسيون وحتى أصحاب الأيديولوجيات القومية العربية ـ كالناصريين ـ يتحاشون الحديث عن محنة هؤلاء الملايين من العرب أو المطالبة برفع الظلم الثقافي والاقتصادي والتهميش السياسي، إما مجاملة لعلاقات خاصة مع حكومة الملالي أو تحاشيًا لغضب أجهزة ومؤسسات إيرانية نافذة في عواصم عربية سياسيًا وإعلاميًا وماليًا، وأعتقد أنه آن الأوان ــ في أجواء الربيع العربي ــ أن ينتبه كل مدافع عن الحرية وكرامة الشعوب وحقوق الأقليات إلى محنة هذا الشعب العربي المنسي، وآن الأوان أن توضع في بؤرة الضوء، وآن الأوان أن تكون على مائدة أي حوار سياسي بين القاهرة وطهران، وأتمنى من فضيلة شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب أن يكون له موقفه الأخلاقي المعتاد، دفاعًا عن مظالم المستضعفين من المسلمين في كل مكان، عندما يلتقيه وزير الخارجية الإيراني اليوم

أو غـدًا، أن يطالبـه بإعـادة تـصحيح الأوضـاع في الأحـواز، ورد المظـالم لأهلـها، ووقـف أعمـال القتـل والسـجن والتنكيـل بحـق شـباب الأحـواز، ومـنح أهلـها الحـق في حمايـة لغـتهم وثقـافتهم وتـدريس مـذهبهم الديني واحترام الإرادة السياسية لشعب الأحواز.

هدم مساجد يعود تاريخها لمئات السنين

شبكة الألوكة –٢٢/١٢/٢٠١٢

قـام المـسلمون في «الهنـد» بمظـاهرات احتجاجيـة تحـت قيـادة مجلـس إعـادة تأهيـل المـستوطنات؛ احتجاجًـا علـى هـدم مـساجد يعـود تاريخهـا لمئـات الـسنين، وإزالـة أكثـر مـن ٥٠٠ مـسكن للمـسلمين في «ميهريـل» بجنـوب العاصـمة «دلهي».

وقـد قامـت الـشرطة بهـدم «مـسجد الغوثيـة» و«مـسجد النـور» الـواقعين في «دلهـي»، ويعـود تاريخهمـا لأكثـر مـن ٤٠٠ سـنة، كمـا أزالـت أكثـر مـن ٥٠٠ مـسكن للمـسلمين، وذلـك في اليـوم الخـامس والثـاني عـشر مـن هـذا الـشهر الجـاري، بـأمر مـن الهيئـة العامـة للتنميـة بـ«دلهـي»، بحجـة أنهـا بنيـت بشكل غير قانوني.

كمـا تجـري محـاولات لهـدم «مـسجد عـزام»، و«مـسجد سـونبورج»، و«مـسجد بنكيـوالي»، و«مسجد الفردوس».

وقـد اضـطر أكثـر مـن ألـف مـسلم للعـيش في الـشوارع مـع الـبرد القاسـي؛ حيـث بـدأ موسـم الـشتاء هنـاك؛ وذلـك لإزالـة مـساكنهم مـن غـير سـابق إنـذار أو تنبيـه، كمـا تمـت إزالـة مقـابرهم بحجـة أن هـذه الأراضـي محتلـة مـن قبـل المـسلمين؛ المـصدر: شـبكة الألوكة.

يرجى الإشارة إلى المصدر عند نقل الخبر

مأزق العلويين
كيف وصلوا إلى عنق الزجاجة، وكيف يخرجون؟

طريف يوسف آغا - موقع آرفلون نت ٧/١/٢٠١٣

لاأعتقـد أن أي علـوي في سـورية أو الـدول القريبـة أو البعيـدة اليـوم يريـد أن يعـرف النـاس أنـه كـذلك، ويعـود الـسبب (للـصورة) الـتي رسمهـا لـه نظـام الأسـد وسـوقها في الـداخل الـسوري وبقيـة العـالم. وهـي كمـا أشـرت في مقـال سـابق، (صـورة) الـشبيح صـاحب العـضلات المنفوخـة الـذي يـشبه المسخ أكثـر ممـا يـشبه الانـسان، والـذي هـو أيـضاً في نفـس الوقـت ذابـح أطفـال ومغتـصب نـساء ولـص ووصـولي ومـؤمن بخرافـات مـن وزن أن (الـرب) يمكـن أن يتمثـل في بـشر. فكيـف حـصل كـل هـذا وهـل مـازال بالامكان إصلاحه؟

للاجابـة عـن الـشق الأول مـن الـسؤال فـأرى أن المـأزق الحقيقـي للطائفـة (العلويـة) يعـود إلى جـوهر عقيـدتها مـن جهـة والمكـان الـذي شـهد ولادتهـا وكـذلك الزمـان مـن جهـة ثانيـة. ومـا أعنيـه بجـوهر عقيـدتها هـو إدعـاء (ابـن نـصير) أن (الـرب) يمكـن أن يتجـسد في البـشر وأنـه قـد تجـسد فيـه شخـصياً، منـشقاً بـذلك عـن الطائفـة (الـشيعية) ومؤسـساً للطائفـة (النـصيرية) الـتي غـيرت اسمهـا فيمـا بعـد بنـاء علـى نـصيحة (الانتـداب الفرنـسي) إلى الطائفـة (العلويـة). خطـورة هـذا الادعـاء أنـه كـان غـير مـسبوق في المجتمعـات العربيـة أو المعروفـة حينهـا، فقـد ادعـى الـبعض (النبـوة) قبلـه وبعـده، أمـا (الألوهيـة) فـلا شـك أنـه صـاحب بـراءة اختراعهـا. وهنـاك واحـد مـن تفـسيرين لاثالـث لهمـا وراء ادعـاء الرجـل ذلـك. الأول أنـه كـان فعـلاً يـصدق أن (الـرب) قـد تجـسد فيـه، وبالتـالي فهـو كـان يعـاني مـن مـشكلة عقليـة أو نفـسية وبحاجـة لعـلاج. والثـاني أنـه فعـل ذلـك لتحقيـق

مكاسب شخصية وخاصة بعد إنكار (الشيعة) عليه منصب (الباب) الذي ادعاه لنفسه للتواصل مع الامام (المهدي) لحين ظهوره. لم يعد هاماً الآن ماذا كان الدافع وراء ادعاء الرجل للربوبية، فذلك صار في ذمة التاريخ، ولكن السؤال الهام هنا هو هل كان يعرف أن (ادعائه) هذا سيكون بمثابة (اللعنة) التي ستطارد أتباعه أينما ذهبوا وإلى الأبد؟

وهنا نصل إلى العاملين الاضافيين اللذين جعلا من هذا (الادعاء) أكثر لعنة وخطورة على من اتبع (ابن نصير)، وهما عاملي الزمان والمكان. فلا في العراق، حيث نشأت الطائفة، ولا في أي دولة عربية، لا في القرن التاسع الميلادي وقت نشأت ولاقبله ولابعده، كان يمكن لطائفة بعقيدة كهذه أن تعيش بسلام. والسبب أن هذه المجتمعات كانت ومازالت مجتمعات محافظة بكل ماتعنيه هذه الكلمة من معنى، والديانات السماوية الثلاثة التي خرجت منها وتجذرت فيها، كلها وبكافة فرقها قامت على (التوحيد). فاذا وضعنا (أهل السنة) وحتى (الشيعة) جانباً، وأتينا إلى مسيحي أو يهودي عارفين بدينهما، وسألناهما ماذا يقولان في ربوبية (ابن نصير) ومن بعده (سليمان المرشد) وحديثاً (الأسدين)؟ أحد أصدقائي السوريين المسيحيين هنا في هيوستن، والذي اعتاد زيارة البلد كل عام قبل الثورة وكان يجهل موضوع (تأليه) الحاكم عند (العلويين)، قال لي مؤخراً بأنه بات يخاف زيارة سورية مادام هذا النظام قائماً، لأن من يؤلهون البشر يمكن أن يرتكبوا أي حماقة ويجدوا لها مبرراً ضمن عقليتهم المتخلفة المحدودة. ماأريد أن أقوله هنا أن دعوة (ابن نصير) لو أنها تمت في بلد يتمتع بحرية المعتقدات، وأيضاً بالديمقراطية، كالدول الأوربية أو أمريكا أو كندا أو استراليا اليوم، لما واجهت الرفض والتكفير منذ البداية. ولاكان عليها أن تهرب من هنا وهناك لشعورها أنها مرفوضة، وبالتالي ماكانت لتشعر أن عليها عزل نفسها عن محيطها باللجوء إلى جبال عالية. ففي الدول التي ذكرتها كأمثلة، تجد أصحاب كافة المعتقدات بمن فيهم عبدة الشيطان وعبدة النار، ولا أعتقد أن إضافة عبدة (البشر) لهم سيزيد أو ينقص من تلك المجتمعات طالما أن لاهؤلاء ولاأولئك ولاغيرهم يخرقون القانون المدني المعمول به في ذلك البلد. ومن يفعل ذلك فالقاضي في المحكمة سيكون بانتظار سماع أقواله، ولن يكون بجانبه سوى محاميه ولاالمخابرات ولاغيرها ستكون قادرة أن تتوسط له.

بعد عامل (عقيدة تأليه البشر) وعاملي (الزمان والمكان)، يبدو أن الحظ بقي واقفاً ضد العلويين. وما أقصده هو أنه لو أتاهم بعد ذلك (قادة) حكماء استوعبوا خطورة ماوضعهم فيه (ابن نصير)، وأفتوا لأتباعهم بغير هذا، لكانوا بالتأكيد وجدوا ترحيباً بهم من محيطهم. أو لو أنهم أخذوا أتباعهم إلى بلدان غير عربية كالصين أو الهند حيث تزدهر عقائد مشابهة لعقيدتهم من حيث عدم افتقارها للخرافات مثل الهندوسية والبوذية وغيرها، لربما أيضاً وجدوا مكاناً آمناً للعيش دون أن يلفتوا أنظار أحد أو يثيروا حفيظة أحد. أو حتى بعد أن أتوا إلى سورية وبقوا فيها، فلو أن (قادتهم) تمتعوا بحكمة ونظرة بعيدة، ولم يحرضوهم على التعاون مع الغزاة مثل المغول والحملات الصليبية قديماً والفرنسيين حديثاً. لو أنهم بدلاً من ذلك دفعوهم لمحاربة هؤلاء الغزاة مع بقية فئات الشعب، لكان الشعب السوري تقبلهم بين جنباته بالرغم من أغلبيته المحافظة. لقد كان على (قادتهم) أن يقنعوهم بأن سورية أصبحت وطنهم ولايمكن أن يعيشوا فيها دون أن يقفوا مع شعبها ضد أعدائها، فالأقلية في أي زمان ومكان هي من بحاجة لرضى الأكثرية وليس العكس.

وكأن كل هذه الأخطاء التاريخية (لقادة) العلويين لم تكن كافية لهم، وبعد كل هذه النقاط التي خسروها في علاقتهم التاريخية مع الشعب، أتت عائلة (الأسد) وفعلت مافعلت، موجهة للطائفة الضربة التي قد تكون القاضية والتي أوصلتها اليوم إلى عنق الزجاجة. هذه العائلة التي بدأها (الجد) بطلب الدولة العلوية من فرنسا عام ١٩٣٦، ثم (الأب) بائع الجولان وحامي إسرائيل وبطل مجازر حماة وتدمر وغيرها، وطبعاً (الابن) الغني عن التعريف. وبناء عليه، فمن يتوجب عليها حقاً إعدام عائلة (الأسد) كلها (أشة لفة) كما يقولون هي طائفتها نفسها وليس غيرها، كونها دمرت البلد باسمها واضعة لها أمام خطر الافناء أو ربما التهجير في أحسن الأحوال.

وهذا يوصلنا إلى الاجابة على الشق الثاني من السؤال في عنوان المقال: كيف تخرج الطائفة من عنق الزجاجة حيث هي الآن وتتصالح مع مجتمعها؟ يشتكي الكثير منهم اليوم بأن محاصرة النظام لهم ومعاقبتهم على معارضته هي أضعاف مايفعله مع معارضيه من (السنة). أقول لهؤلاء أن لاينسوا ضحايا جرائم النظام حتى اليوم والتي بلغت مئات الآلاف من الشهداء والمفقودين والجرحى وملايين المهجرين. وبالتالي فان أمل (العلويين) الوحيد بنيل صفح الشعب السوري عما اقترفته نخبتهم في الماضي والحاضر هو الانخراط في الثورة مئة بالمئة وجعل التخلص من هذا السفاح وعائلته ومجرمي الحرب الذين يدعموه يتم على أيديهم هم قبل أن يتم على أيد غيرهم، فيفقدون بذلك فرصة لاتعوض. نعم سيدفعون ثمناً باهظاً، لكنه ثمن لم تبخل أغلبية الشعب السوري عن دفعه، وهم ليسوا أفضل من بقية الشعب. ثمن سيكون، كما ذكرت، أفضل في كافة الأحوال وبكثير من ثمن الفناء أو التهجير الكامل.

سورية بعد انتصار الثورة ستكون سورية لجميع سكانها من كافة الأطياف، ولكن السؤال هنا هو من من هؤلاء السكان سيبقى ليحتفل بانتصار الثورة لاشتراكه فيها أودعمه لها؟ ومن سيكون قد أصبح من سكان المقابر أو السجون أو المنفى القسري ممن هتف له يوم أمس في خطابه السادس من دار الأوبرا في دمشق (شبيحة للأبد كرمال عيونك ياأسد). أو حتى هؤلاء الذين صمتوا عنه لأنهم كانوا من المستفيدين، فالصمت كما يقولون هو (من علامات الرضى) في أغلب الأحيان.

هزيمة تليق بـ «الشبّيح الفلسطيني»

خير الله خير الله – المستقبل اللبنانية ٢٠١٣/١٢/٢٤

ما سقط هو رمز من رموز النظام السوري. انه رمز بكلّ ما في الكلمة من معنى، رمز لما مارسه هذا النظام طوال ما يزيد على اربعة عقود على الصعيد الفلسطيني. أن يستخدم النظام السوري سلاح الجوّ لقصف مخيّم اليرموك جنوب دمشق دليل على فقدان السيطرة على المخيّم. اخيرا صار من حق فلسطينيي اليرموك، بعد لفظهم احمد جبريل، قول ما يقوله أي فلسطيني آخر داخل فلسطين او في الشتات. يقول هذا الفلسطيني العادي بكلّ بساطة انه ليس سلعة يتاجر بها النظام السوري داخليا وعربيا واقليميا ودوليا.

انضمّ مخيّم اليرموك الى مخيّمات اخرى تعرّضت لهجمة النظام السوري اكان ذلك في سوريا او في لبنان. ما لا بدّ من ملاحظته هنا أنّ مخيم اليرموك الذي صمد واصبح في النهاية حرّا، لم يكن يضمّ فلسطينيين فقط، تحوّل الى مكان يلجأ اليه السوريون الآتون من الارياف الذين اقاموا في ما سمّي العشوائيات. كانت العشوائيات احد مظاهر الازمة العميقة للنظام السوري الذي لم

يمتلك يوما أي حلّ لأي مشكلة، اكانت اقتصادية ام اجتماعية ام سياسية.

لم يستوعب النظام يوما معنى نمو احزمة الفقر في جوار المدن السورية. بقي اسير شعاراته المضحكة- المبكية من نوع «المقاومة» و«الممانعة».

وبقي همّه محصورا في كيفية تصدير الارهاب الى لبنان والاردن والبحرين والعراق وتركيا والخليج العربي، او افشال أي خطوة ايجابية يمكن ان يقدم عليها الفلسطينيون تصبّ في اتجاه الحصول على حقوقهم المشروعة.

لم يتنبه يوما الى ظاهرة العشوائيات في جوار المدن التي توفّر بيئة مواتية لنمو التطرف الديني. لا يشبه العجز عن استيعاب ظاهرة العشوائيات غير العجز عن فهم أن تشجيع التطرف المذهبي في لبنان عن طريق دعم الميليشيا الايرانية المسماة «حزب الله»، لا يمكن الاّ أن يرتد، عاجلا ام آجلا، على النظام السوري داخل سوريا نفسها.

كان احمد جبريل الامين العام لـ«الجبهة الشعبية- القيادة العامة» جزءا لا يتجزّأ من النظام الامني السوري. كان الضابط السابق في الجيش السوري، الذي اكتشف أن له وظيفة فلسطينية، يمثّل افضل تعبير عن حقد دفين لدى هذا النظام تجاه كلّ ما هو فلسطيني. القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني ليسا سوى اداة تستخدم في ابتزاز هذا الطرف العربي او الدولي او ذاك.

تعطي ممارسات احمد جبريل في لبنان فكرة عن الدور المطلوب من كلّ فلسطيني أن يلعبه، من وجهة نظر النظام السوري. ما يذكره اللبنانيون عن احمد جبريل أنّه نفّذ كلّ المهمات الوسخة، بما في ذلك الاغتيالات، التي كانت الاجهزة السورية لا تريد تنفيذها بشكل مباشر.

كان مقاتلوه، على سبيل المثال، يمارسون الخطف على الهوية في كلّ مرة كانت تهدأ فيها الجبهات. حصل ذلك في بداية الحرب اللبنانية التي كان الفلسطينيون للاسف الشديد طرفا فيها...بارادتهم الحرّة احيانا وبارادة سورية في معظم الاحيان.

ساعد احمد جبريل في توريط الفلسطينيين في الحرب اللبنانية. كان يزايد باستمرار على ياسر عرفات الزعيم التاريخي للشعب الفلسطيني الذي غرق في المستنقع اللبناني الى ما فوق اذنيه.

حصل ذلك بدفع سوري لم يحسن «ابو عمّار» في احيان كثيرة التعاطي معه، خصوصا أنه كان هناك عملاء للنظام السوري داخل قيادة «فتح» نفسها. على العكس من ذلك، وقع «ابو عمّار» في الفخ الذي نصبه له الرئيس الراحل حافظ الاسد. استغلّ الاسد الاب الوجود الفلسطيني المسلّح في لبنان كي يقدّم نفسه للعالم بأنّه الوحيد القادر، بفضل جيشه، على ضبط «مسلحي منظمة التحرير الفلسطينية». وهذا التعبير هو الذي استخدمه هنري كيسينجر في تبريره السماح للاسد الاب بارسال قواته الى لبنان...

لم تكن من مهمة لاحمد جبريل في مرحلة ما، خصوصا في ١٩٧٥ و١٩٧٦ و١٩٧٧ سوى توريط «ابو عمّار» اكثر في الحرب اللبنانية وذلك عن طريق المزايدة عليه. ولعلّ الانجاز الاكبر للامين العام لـ«الجبهة الشعبية- القيادة العامة» في تلك المرحلة تدمير الفنادق اللبنانية الواقعة على شاطئ بيروت واحدا واحدا اشباعا لاحقاد حافظ الاسد على كلّ نجاح لبناني...او سوري!

بعد خروج القوات الفلسطينية من لبنان، عاد احمد جبريل الى الوطن الصغير ليقيم فيه قواعد «سورية»، بينها قاعدة في الناعمة، جنوب بيروت. لم يعترض احد على ذلك، خصوصا أنه دخل باكرا

علــى الخــط الايرانــي، وصــار حليفــا لــ«حــزب الله» بعـدما تخلـى عنـه معمّـر القـذّافي. لعـب دائمـا الادوار المطلـوب منـه ان تلعبهـا سـوريا. ولـذلك نفّـذ مخططـات تـسيء الى الفلـسطينيين والى الخـط الـذي انتهجـه ياسـر عرفـات الـذي نـادى بـ«القـرار الفلـسطيني المـستقلّ». لم يقـصّر احمـد جبريـل في اي مجـال مـن المجـالات الـتي تـصبّ في التخريـب علـى الفلـسطينيين والاسـاءة الى قـضيتهم. ولـذلك اسـتهدف دائمـا الاردن، في عهـدي الملـك الحـسين، رحمـه الله، والملـك عبـدالله الثـاني. اسـتهدف الاردن لأنّهـا لعبـت دورا مهمّـا في مـساعدة الفلـسطينيين علـى الاتجـاه الى حلـول واقعيـة تعيـد لهـذا الـشعب جـزءا مـن حقوقـه بـدل بقائه مشرّدا خارج خريطة الشرق الاوسط.

هنـاك ابعـد بكـثير مـن هزيمـة احمـد جبريـل المتمثلـة في طـرده مـن مخـيّم اليرمـوك. انهـا هزيمـة لـنهج وسياسـة يقومـان علـى «التـشبيح». كـان احمـد جبريـل «الـشبّيح الفلـسطيني» بامتيـاز. اسـس لـولادة «الـشبيحة الـسوريين» الـذين اسـتخدمهم النظـام في مواجهـة شـعبه. الاكيـد أنّ طـرده مـن اليرمـوك الـذي يـشكّل هزيمـة تليـق بـه، مؤشـر الى مرحلـة جديـدة في سـوريا. قـد تكـون هـذه مرحلـة عودتهـا بلـدا طبيعيـا يعتـبر المتـاجرة بالفلـسطينيين وقـضيّتهم عيبـا، بـل عـارا، ولـيس دورا اقليميـا، اقـرب الى الحـال المرضيـة والوهم من ايّ شيء آخر.

هل بدأ الربيع العراقي؟ (١)

د. محمد عياش الكبيسي - العرب القطرية ٢٠١٢/١٢/٢٥

تــصاعدت وتــيرة الأحــداث في أكثــر مــن محافظــة ســنية بعــد سلــسلة مــن الاســتفزازات الطائفيـة الـتي قامـت بهـا حكومـة المـالكي تجـاه الـسنّة بكـل قومياتهم وتوجهـاتهم، حتـى وصـل الأمـر إلى مـستوى الانتهاكـات الـتي تهـون أمامهـا الـدماء والأرواح.

جــاءت قــضية الــدكتور رافــع العيــساوي كالقــشة الــتي قــصمت ظهــر الــبعير، مـع مـا للعيـساوي مـن حـضور متميـز وشـعبية واسـعة أثبتتهـا التـداعيات المتواصـلة، إلا أن الـذي حـرّك الـشارع الـسنّي بهـذه الـسرعة وهـذا الحجـم هـو تلـك التراكمات التي يصعب عدّها وحصرها.

فعلـى المستوى الثقـافي، تم التعـدي علـى عقيـدة أهـل الـسنة في كـل محفـل، والفـضائيات العراقيـة الرسميـة فـضلا عـن الحزبيـة لا تفتـأ في كـل مناسـبة تـشتم الـصحابة وتنـال مـنهم، وقـد كـان هـذا بالنـسبة للـسنة أشـد علـيهم مـن ذبـح أولادهـم في حجـورهم، وكانـت المنـاهج الدراسـية وأسـئلة الامتحانـات العامـة كلها تسير بهذا الاتجاه.

أمــا في الجانــب الــسياسي، فــإن سياســة التهمـيش والإقـصاء لكـل الرمـوز الـسنية قـد تجـاوزت كـل الحـدود والتوقعـات، فـرئيس «التوافـق العراقيـة» في البرلمـان الـدكتور عـدنان الـدليمي يـتم تهجـيره واعتقـال أولاده ومـا يزيـد علـى الخمـسين مـن حراسـه، وهكــذا أيــضا تم اســتبعاد وزيــر الثقافــة أســعد الهاشمي، ثـم الـدايني عـضو البرلمـان البـارز، ثـم صعّـد المـالكي مـن سـقف طموحاتـه ليقـصي نائـب رئـيس الجمهوريــة طــارق الهــاشمي، ويثنّــي مــؤخرا بــوزير الماليـة ونائـب رئـيس الـوزراء الـسابق الـدكتور رافـع العيساوي.

ربمـا كـان أهـل الـسنة يتوقعـون محاكمـات ظالمـة وقاسـية بحـق رمـوزهم وشخـصياتهم الـذين رفعــوا صــوتهم ضــد الحكومــة والعمليــة الـسياسية، كمـا في مـذكرة الاعتقـال الـتي صـدرت بحـق الـشيخ حـارث الـضاري، وقـانون الاجتثـاث بحـق البعثـيين، هـذا فـضلا عـن مئـات الاعترافـات القـسرية للمـتهمين بالمقاومـة مـن كـل الفـصائل والـتي تبثهـا الفــضائية الرسميــة، كــل هــذا متوقــع، أمــا أن

يستهدف الدليمي والهاشمي والعيساوي، فهذا معناه أن السنة كيفما كانوا فهم غير مرغوب بهم في العراق الجديد، وهنا أصبحت القضية قضية وجود وليست مشكلة برامج ومواقف، وخير من عبر عن هذه الحقيقة مفتي العراق الشيخ رافع العاني بقوله: «المادة ٤ إرهاب تعني ٤ سنة، فكل سني إرهابي بالولادة».

وقد كان المالكي بعد كل ضربة من هذا النوع يراقب ردات الفعل في الصف السني المشغول بأكثر من مشكلة وقضية والمنقسم على نفسه أيضا، ولذلك ترجح عنده أن الوقت قد حان للتوجه إلى السنة الكرد، فخالف كل من نصحه من مراجعه الدينيين والسياسيين في الداخل والخارج، وراح يستعرض قواته أمام المحافظات الكردية ويهدد ويتوعد، ولم يكتف باستفزاز رجل الكرد القوي مسعود البرزاني، بل راح وبحسب ما تسرب من معلومات ليفرض مزاجه على الرئيس جلال الطالباني رغم مرضه وكبر سنه.

ربما يكون المالكي قد استلم الضوء الأخضر من أولياء نعمته الأميركيين، لكنه لضعف خبرته نسي أن أولياءه هؤلاء ربما أرادوا توريطه في مستنقعات لها أول وليس لها آخر، ولأغراض يعجز المالكي وحزبه عن إدراكها أو التكهن بها، وقد كان عليه أن يستفيد من سياسات التوريط التي مارسها الأميركيون في أكثر من قضية ومع أقرب المقربين لهم.

أما على صعيد الائتلاف الشيعي، فسرعان ما تبين للمالكي أنهم ليسوا على استعداد لتحمل تبعات هذه المغامرات والمجازفات، حتى وصل الأمر في أوج أزمته مع الكرد إلى أن يعقد شريكه هادي العامري رئيس فيلق بدر مؤتمرا صحافيا ليعلن فيه أن التحالف الشيعي الكردي تحالف مقدس لا ينبغي المساس به!! وربما كان العامري يدرك بحكم طبيعة عمله وخبراته المتراكمة أن المالكي سيورط الشيعة كلهم لو انحازوا له، ويضيع عليهم فرصتهم التاريخية التي قد لا تتكرر، ثم لما خرجت مظاهرات الأنبار وسامراء وتكريت وغيرها، راح التيار الصدري يعلن براءته مما أسماها «مجازفات المالكي».

جدير بالذكر هنا أن المحافظات الشيعية نفسها لم تسلم من ظلم المالكي وحكومته، فكل التقارير المدعومة بالوثائق والصور تؤكد وصول الحالة المعيشية إلى مستوى لا يليق بالآدميين، وقد زاد الطين بلة سيطرة التجار الإيرانيين على مفاصل العمل التجاري خاصة في كربلاء والنجف، حتى صار التومان الإيراني عملة متداولة لا تختلف عن الدينار العراقي!!

القوة الوحيدة التي يستند إليها المالكي هي فرقه العسكرية التي شكلها الأميركان بديلا عن الجيش العراقي، لكن هذه الفرق ينخرها الفساد وتعبث بها المحسوبيات المختلفة، وهم رغم كل السخاء الذي يقدمه لهم المالكي لم يتمكنوا من ضبط الأمن في محيط المنطقة الخضراء!! فكيف لو اندلعت انتفاضة حقيقية بحجم العراق كله، أو حتى على مستوى المحافظات السنية التي خبر المالكي صلابتها وشجاعتها، ليس في مواجهة جيشه المتهرئ وإنما في مواجهة المارينز الأميركي؟

على المستوى الخارجي، ثمة أكثر من متغير ينبغي للمالكي أن يحسب حسابه، فتركيا الجار الأقوى للعراق قد أعلنت تضامنها مبكرا مع سنّة العراق وعلى لسان قائدها الكبير رجب طيب أردوغان، حيث قال معلقا على استهداف العيساوي: «إن حكومة المالكي تتصرف كحكومة شيعية طائفية، وقد حان الوقت لتشكيل حكومة ديمقراطية عادلة»، كما أن أردوغان قد أحرق الورقة التي كان يلعب بها المالكي وهي ورقة

الخلاف التركي الكردي، حيث تمكن من فتح علاقة جديدة ومتميزة مع «صديقه» «مسعود البرزاني».

أما الدول العربية التي ترى أن النيران الصفوية باتت قريبة من حدودها، فربما تجد الفرصة مناسبة لإبعاد هذه النار عنها من خلال دعمها لانتفاضة عراقية أو سنّية يقودها سياسيون معتدلون لم تثر حولهم شبهات التطرف أو الإرهاب، وهذا ما تنبه له السنّة أيضا، فقد استفادوا من تجربتهم المريرة أيام هيمنة القاعدة على بعض مناطقهم، وأصبحت هذه المناطق مصدر قلق لدول الجوار العربي ربما أكثر من الخطر الإيراني نفسه.

وأما المتغير الأكثر إزعاجا لحكومة المالكي فهو الانهيار الوشيك لحليفها الاستراتيجي بشار، حيث سينتهي التنسيق الذي أدى إلى إضعاف «المثلث السني» خاصة محافظة الأنبار التي تحملت تبعاته ونتائجه الأشد والأثقل، حيث كان بشار يمارس لعبته القذرة في دعمه للعصابات الإجرامية داخل المحافظة تحت عنوان «مقاومة الاحتلال الأميركي»، ولم يكن يدعم المقاومة وإنما كان يدعم العصابات التي تقاتل المقاومة وتقاتل أهل السنة كافة وبعناوين مختلفة وذرائع متعددة، وإمعانا في التضليل كان المالكي يستنكر الدعم الأسدي لفصائل المقاومة، ثم تبين للعالم اليوم وللسنة بوجه خاص حقيقة العلاقة بين بشار والمالكي.

إن سقوط بشار يعني الكثير بالنسبة للمالكي، وقد صرح أحد أركان حكومته أنه في حالة تغيير النظام في سوريا فإن المعركة ستكون على أسوار بغداد!! ودعا آخر صراحة إلى تشكيل جيش مليوني للدفاع عن «العتبات المقدسة»!

إن المالكي يعلم أن الجيش السوري الحر ليس هو من سيصل إلى أسوار بغداد، وإنما هي روح الثورة السورية ونسائم الربيع العربي المبارك هي من سيحرك المارد السني، الذي أجبرته الظروف أن يتنفس قليلا ويأخذ قسطا من الراحة بعد منازلته الشرسة وغير المتكافئة مع أعتى قوة في العالم.

هل بدأ الربيع العراقي؟ (٢-٢)

د. محمد عياش الكبيسي - العرب القطرية ٢٠١٣/١/١

اليوم نستطيع أن نجيب بنعم، فقد بدأ الربيع العراقي بالفعل، فبعد خروج المظاهرات المليونية في الفلوجة والرمادي، تجاوبت سامراء وتكريت والموصل، ثم تطورت الأمور إلى إعلان العصيان المدني العام، وإقامة مناطق مخصصة للاعتصام الدائم، وتحديد مواعيد مسبقة للتظاهرات المركزية والتظاهرات المحلية بجداول زمنية معلنة وبوتيرة متقاربة ومتصاعدة.

تميزت الانتفاضة الجديدة بأنها انتفاضة سنية خالصة، وهذا على خلاف المظاهرات المحدودة التي شهدتها ساحة التحرير في بغداد والتي لم تعبّر عن قضية واضحة، ولذلك فقدت الدافع لاستمراريتها، أما اليوم فهناك شعور عام وعميق بوجود ظلم منهجي ومقنن لاستئصال سنة العراق هوية وعقيدة ووجودا، وذلك كخطوة أولية ولكنها ضرورية لإعلان العراق رسميا ولاية إيرانية، حيث إن المحافظات الشيعية لم تبد لحد الآن رفضها لهذا المشروع، وذلك بحكم الخضوع الديني لسلطة المراجع، ومنهم على السيستاني وهو إيراني الجنسية، وقد اعتذر رسميا عن قبوله للجنسية العراقية بعدما عرضها عليه بعض النواب الشيعة!

السنة لا يشعرون اليوم بالظلم فقط، بل هم متخوفون فعلا من عملية تشييع ممنهج تعقبها عملية تفريس ممنهج أيضا، بحيث لن يكون مصيرهم

وفق الخطة المرسومة بأفضل من عرب الأحواز!!

عبّرت الانتفاضة عن هذا التخوّف من خلال حرقها للعلم الإيراني في سامراء، ورفعها لشعار (أنا سني) في الفلوجة، وكذلك تأكيد جميع الخطباء والسياسيين وشيوخ العشائر على (المظلومية السنّية).

تجدر الإشارة هنا إلى أن السنّة صبروا طويلا على شركائهم في الوطن، لعلهم يغلّبون هويتهم الوطنية على انتمائهم الطائفي، ولعلهم ينتبهون لمعاناة شركائهم الذين يتعرضون لأصناف العذاب وعلى كل المستويات، وكان السنّة في كل مناسبة يهتفون (إخوان سنّة وشيعة)، لكن هذا الشعار أضعف المناعة الداخلية للشارع السنّي، ولم يقرّب أحدا من أولئك الشركاء!

كان بعض الزعماء السنّة يردد أن الخلاف في العراق سياسي وليس طائفيا، فهذه أحزاب سياسية متنافسة على المناصب والمكاسب، ولقد كانت هذه أشبه بسياسة دس الرأس في الرمال، فحزب الدعوة الذي يرأسه المالكي حزب ديني مرتبط بالعقيدة الشيعية ومرجعياتها الدينية من تأسيسه وإلى اليوم، وكذلك المجلس الأعلى والتيار الصدري وحزب الفضيلة.. إلخ بل إن الفرد الشيعي لا يصح تدينه إلا بتقليده لمرجع من المراجع، فهو يعطيه الخمس، ويأتمر بأمره في كل شؤونه خاصة المواقف السياسية.

لقد كان بعض الزعماء السنّة يمارسون بحق أهلهم المظلومين والمسحوقين نوعا من التدليس أو «التقية المقلوبة» ويعدون هذا «حكمة سياسية»، ولكن هذه الحكمة أعفت المراجع عن التبعات الثقيلة التي ينبغي أن يتحملوها جراء دعمهم اللامحدود للمالكي وحكومته، بل ولبشار ونظامه أيضا، فلم يعد أولئك المراجع بحاجة إلى الدفاع عن أنفسهم أو العمل على تلميع صورة الطائفة، فقد تكفلت «الحكمة السنّية» بالقيام بهذا الدور!

ومن المفارقات هنا أن ترى هؤلاء «الحكماء» يرفضون التعامل بهذه الحكمة مع مخالفيهم من القادة السنة، وأذكر أني تعبت من الحوار لأقنع واحدا منهم بأن يتعامل مع طارق الهاشمي وعدنان الدليمي كما يتعامل مع السيستاني ومقتدى الصدر!! فإذا كان الهاشمي والدليمي دخلا العملية السياسية بضعف وللضرورة، فإن السيستاني والصدر هما قاعدتها وعمود خيمتها، مع ما بين الفريقين من خلاف وفروق من أصول الهوية إلى أدق الأهداف والغايات.

من الواضح اليوم أن السنّة قد تجاوزوا هذه المرحلة المترددة والقلقة من تاريخهم وقرروا إعلان هويتهم وقضيتهم، وهذا بداية الحل، حتى على مستوى التفاوض لفرض التعايش السلمي مع الآخر. إنهم الآن يستطيعون أن يقولوا هذه هي مطالبنا، وهذه هي شروطنا للتعايش في الوطن الواحد.

ومن دلائل هذا الوعي بمتطلبات المرحلة الحرجة التفاف السنة حول بعضهم وبعنوان السنة الذي يجمع ولا يفرق، فهناك وقف العلماء، ووقف رافع العيساوي وأثيل النجيفي، وهناك كانت خطابات المقاومة مع بيانات مجالس المحافظات المؤيدة والمساندة، وهناك شيوخ القبائل العربية ووفود الأكراد بأعلامهم الكردية، وهناك في كل ساحة من ساحات الانتفاضة يرفرف علم الثورة السورية.

إذاً انطلق الربيع العراقي بقضية واضحة، ولا شك أن وضوح القضية يعد المرتكز الأساس لاستمرار الانتفاضة وتصاعدها، بيد أن هناك جملة

من التحديات ينبغي رصدها وتحليلها، حيث إن الوضع العراقي لا يمكن أن يقاس بكل الثورات العربية، وبالتالي فإن خبرات الربيع العربي المتعاقبة على أهميتها لا تصلح مثالا يحتذى للربيع العراقي.

في كل الثورات كان الصراع أفقيا، حيث تثور الشعوب المسحوقة على الأنظمة الاستبدادية التي تحكمها، فهناك طبقة يصنعها النظام عادة من المقربين والمنتفعين يمثلون الطبقة العليا «النبلاء»، في مقابل طبقة الشعوب «العامة»، وحينما حاول بعض أهل السنة استنساخ هذا النموذج في يوم ٢٠١٢/٢/٢٥ فشلوا ولم يستجب لهم سوى مائة شخص فقط!!

حقيقة أن العراق اليوم منقسم انقساما عموديا، من رئاسة الجمهورية ومجلس الوزراء والبرلمان إلى المدرسة والمستشفى، مرورا بكل مؤسسات الدولة العسكرية والأمنية والاقتصادية.

الوزير السني مضطهد كما هو الطبيب السني والمعلم السني، ولذلك يحار المراقبون في تفسير حالة اصطفاف كثير من الوزراء والبرلمانيين والمحافظين مع المتظاهرين، وربما تشيع الاتهامات والظنون السيئة، والأمر في الحقيقة أعقد من هذا بكثير.

وفي المقابل ترى الفقراء في مدينة الصدر والنجف وكل المحافظات الجنوبية يعضون على نواجذهم صبرا وتحملا لكل المعاناة اليومية من انقطاع الكهرباء ونقص الخدمات ويصطفون مع المالكي وحكومته.

في دول الربيع العربي يقف العلماء مع شعوبهم ومن شذّ منهم من النفعيين يوصم بالنفاق، بينما في العراق ترى العمائم السنّية في التظاهرات، والعمائم الشيعية في الوزارات والبرلمانات.

ولذلك فإن الذين يعولون على استقالة الوزراء والمسؤولين السنة، أو حتى على انهيار الحكومة كلها، هم واهمون، لأن الحكومة هذه مجرد واجهة وظيفية لنظام طائفي يستند إلى مؤسسات دينية «مرجعيات» ومؤسسات عسكرية وأمنية لا تخضع للتغيرات الانتخابية، فلو ثار الشيعة معكم لتغيير حكومة المالكي فإن مالكيا آخر ستأتي به نفس هذه المؤسسات أكثر رحمة بالشيعة وأشد وطأة عليكم.

ربما كان رجب طيب أردوغان أكثر صراحة وهو يصف جانبا من المشهد العراقي: (إن حكومة المالكي تتصرف كحكومة شيعية طائفية تتلقى دعما خاصا، وقد حان الوقت لتشكيل حكومة ديمقراطية عادلة).

وربما يكون المثال الأقرب للحالة العراقية هو الوضع اللبناني، من حيث إن السنّة في لبنان لا يعانون من حكومة متسلطة، بقدر ما يعانون من كيان عميق في الدولة اللبنانية أكثر رسوخا وقوة من كل الحكومات المتعاقبة، وهو القادر على أن يتحكم بالمشهد ويملي شروطه الأحادية من دون التنسيق أو التشاور معهم، ومن ثم كان السنة اللبنانيون لا يتفاوضون مع الحكومة بقدر ما يتفاوضون مع حزب الله، وهم كذلك لا يضغطون على وزرائهم للانسحاب من الحكومة، لأن هذا الانسحاب لا يغير من المعادلة شيئا، غير أنه يخلي الطريق أمام حزب الله ليتمدد في مواقعهم.

إن فتوى من سطر واحد تصدرها المراجع الشيعية في النجف تتبرأ فيها من المالكي كفيلة بإسقاطه من دون أية كلفة، هذا لا وجود له في أي من دول الربيع العربي، وبالتالي فإن الحراك السني ينبغي أن يحدد وجهته، إن عليهم أن يستجمعوا كل قواهم لإثبات وجودهم وليقولوا للنظام الشيعي الحاكم بكل عمقه الديني والشعبي: هذه هي هويتنا وهذه هي عقيدتنا ولن

نرضى أن نتنازل عنها مهما كلف الثمن، وهذه هي شروطنا للتعايش السلمي في وطن واحد ودولة واحدة.

حلقات التشيع في عمان

ماهر أبو طير - الدستور ٢٠١٢/١٢/٢٧

كلنا سنة وشيعة نحب آل البيت، ولهم في قلوبنا مكانة خاصة جداً، لا ينكرها إلا من قست قلوبهم، أو عميت أبصارهم، وآل البيت ليسوا لطرف دون آخر، بل لهم مكانة عند كل المسلمين.

بيد ان تغيير المذهب من سني إلى شيعي، أو من شيعي الى سني، لا يفيد احداً، فأغلب المسلمين ينتمون الى السنة، وهناك اعداد كبيرة من اخواننا الشيعة، وحالة التعايش بين الناس كانت ميزة كبيرة للمنطقة، قبل ان تدب فيها موجة التمزيق خلال السنوات الاخيرة.

في عمان هناك مجموعات شيعية أردنية وغير أردنية تعقد حلقات من أجل تغيير مذهب كثيرين، من السنة إلى الشيعة، وهناك تجاوبات تجري، والسني الذي يغير مذهبه إلى الشيعي يسمى مستبصرا لدى الشيعة، بمعنى أنه أبصر الحق وتبعه.

تيار التشيع في الأردن كان قوياً جدا بعد حرب لبنان عام ٢٠٠٦، لكنه سرعان ماضعف لاحقا، تحت وطأة أحداث كثيرة، أبرزها ماجرى في سورية وسكوت حزب الله على مذابح العرب والمسلمين في سورية، اضافة إلى الشراكة في السكوت من جانب إيران.

شعبية حسن نصر الله تضررت بشدة، جراء هذا الموقف، وارتد الأمر على التشيع السياسي، ثم الديني الذي شهد اضمحلالا كبيرا وبشكل واضح.

لا أحد يريد استعداء الشيعة، فهم في نهاية المطاف من أهل المنطقة، لكننا نتحدث عن سر هذه المجموعات التي تنشط في عمان تحديدا خلال الشهور الاخيرة، إذ يتم عقد حلقات فكرية، ينضم إليها شباب من هنا وهناك، ويجري عقد هذه الحلقات تحت عناوين دينية وفكرية تناقش الفقه والعقيدة، و تعيد قراءة أغلب كتب الاحاديث، و تقدم قراءة جديدة للخلافة الاسلامية الى آخر هذه القضايا.

إذا افترضنا ان الفا او الفين من الاردنيين غيروا مذهبهم من السني الى الشيعي، فماذا سوف يستفيد الشيعة، من هذه الكوكبة الجديدة،وإذا افترضنا ان السنة غيروا مذهب ألف او الفين من الشيعة فماذا سوف يستفيد هؤلاء؟!.

الأصل ان نصلح احوالنا كلنا كمسلمين، في المعاملات والاخلاق والعبادات، بدلا من حالة الخطف والتخاطف في المذاهب، و السني عليه ان يصلح حاله وحال السنة قبل ان يفكر بضم أرقام جديدة الى السنة، والشيعي عليه ان يصلح حاله وحال الشيعة قبل ان يبحث عن مستبصرين جدد ليضمهم الى جماعته.

من ناحية سياسية فأن حلقات التشيع تثير حساسية عالية جداً، لان قراءة حال هذه الحلقات لاتجري من باب حرية المعتقد وانما من زاوية المد السياسي لصالح دول راعية للمذهب الشيعي، وهذا يفسر حجم الحساسية الكبيرة من هكذا خلايا وحلقات.

حتى لا تبدو القصة محصورة في قصة المذهبين، فان تيارات كثيرة تعمل سرا في البلد، من الدعوة للقاديانية الاحمدية، وصولا الى تغيير الدين بأي اتجاه كان، مرورا بكل ما يخطر على

البال من قصص كالتحول الى العلوية او الاسماعيلية، وهكذا يبدو البلد بمثابة ملعب لقوى كثيرة.

هذا ليس تحريضاً على الشيعة، فالتحريض يؤدي الى الكراهية والدم والفتن بين الناس، لكننا نقول ان هذا جهد لا يفيد ولا يضر، حتى لو ظن المجتهدون فيه انهم يقدمون خدمة الدخول الى الجنة قبل الاخر، تحت عنوان «الصراع على السماء يبدأ من الارض اولا».

لنصلح حالنا الفردي اولا وحال من حولنا وحوالينا، قبل التفكير بأعضاء جدد في نادي المتحولين إلى أي اتجاه كان.

للمرة الأولى سينما إيرانية تدخل غزة لتجسد المقاومة من خلال الأفلام

موقع وكالة معا الإخبارية –٢٠١٣/١٢/٣١

هي المرة الأولى التي تدخل السينما الإيرانية فيها إلى قطاع غزة، أفلام إيرانية عرضت في أحد المسارح الثقافية بغزة مستعرضة أعمال المقاومة في عدة مناطق من العالم الإسلامي.

أفلام عرضت في مهرجان سينما أيام المقاومة بموجب اتفاق وقعته وزارة الثقافة المقالة مع وزارة الثقافة في إيران لدعم السينما الفلسطينية، في ظل افتقار مدينة غزة من دور السينما والتي أقفلت أبوابها لأسباب مختلفة.

المخرج السينمائي سعيد الخطيب أوضح أن مهرجان أيام سينما المقاومة جاء برعاية أمان مهرجان عمار الدولي الذي ينطلق في إيران بداية العام.

وبين الخطيب أنه سيتم عرض عدة أفلام سينمائية جاءت من إيران منها: « فيلم المتبقي، و٣٣ يوما، وصياد السبت»، موضحاً أن الهدف من المهرجان هو تجسيد الحالة السينمائية في وطن يعاني من الحصار، وتشجيع الواقع الفني في قطاع غزة.

وقال: «السينما الإيرانية تحدثت عن نكبات الشعوب والمظلومين والمقهورين ، ونحن كآخر شعب في العالم يرزخ تحت الاحتلال كان لنا نافذة كبيرة أن تضع دولة عظمى مثل إيران إمكانياتها لإنتاج أعمال سينمائية تتحدث عن المقاومة وعن فلسطين».

إبراهيم أبو شعر منسق للمهرجان أوضح أن هذا المهرجان يهدف بشكل أساسي لدعم السينما المتعلقة والداعمة لفكرة المقاومة ونشرها بين الشعوب العربية والإسلامية.

وبين أبو شعر أن هناك أفلاما من إنتاج إيراني وتنفيذ ممثلين سوريين، مشيراً إلى أن هناك أفلام إيرانية بالكامل تدعم المقاومة.

وزير الشباب والرياضة والثقافة بالحكومة المقالة بغزة محمد المدهون أوضح أن السينما الفلسطينية بحاجة إلى استنهاض واسع، وارفاد العمل الفلسطيني السينمائي بكثير من الجهد من أجل أن يكون هناك سينما فلسطينية حقيقة قادرة على إيصال الصورة التي عبر عنها الشعب في كل المحطات، والتي كان يعبر عنها من خلال الدماء والتضحيات.

وقال: «نحن بحاجة إلى أن نعزز سينما الشعب الفلسطيني، وهذه الرسالة هي التي يمكن من خلالها أن نساهم في صناعة الرأي العام ».

وأشار إلى أن التراجع في السينما الفلسطينية لم يكن ليغيب السينما عن الحضور، مؤكداً أنها بحاجة للبناء من خلال التعاون مع كل الجهات التي يمكن أن تدعمها.

وأكد على أن وجود مثل هذه الأفلام التي

سيتم عرضها يجسد الصورة المهمة للشعب الفلسطيني، مؤكداً أننا بحاجة لتعزيز العلاقة السينمائية بشكل كبير مع القاهرة، داعياً إياها بأن تقوم بدورها بصناعة سينما القيم والمقاومة في مواجهة الغرب الذي يشوه الواقع الفلسطيني في أفلامه ومخرجاته.

ودعا المدهون مؤسسات الفن والسينما أن تنهض وتحمل على عاتقها القيام بهذا الدور وفق منظومة من القيم والضوابط التي تؤكد أن للسينما رسالة.

وتبقى السينما الفلسطينية بحاجة لدعم وتطوير لتستعيد عملها، الذي تراجع خلال السنوات الماضية، ولتجسد صمود الشعب الفلسطيني ومعاناته الطويلة مع الاحتلال الذي سلب أرضه.

الطائفة السنية مستهدفة... ما العمل؟

صلاح سلام – اللواء اللبنانية ٢٠١٣/١٢/١٠

غداة وقوع الجريمة المروعة التي أودت باللواء الشهيد وسام الحسن، وقف الرئيس نجيب ميقاتي أمام الإعلام في قصر بعبدا، ليعلن على الملأ، وبكل صراحة ووضوح: أن الطائفة السنية مستهدفة.

لم يكن رئيس الحكومة يعبّر عن شعوره الشخصي فقط، ولا نخاله أنه أيقن من هذا الاستهداف اثر اغتيال رجل الأمن الأبرز في البلد وحسب، لأن الاستهداف المتمادي لم يكن وليد الجريمة التي نكأت الجراح، بقدر ما كان نتيجة تراكمات لسلسلة من المواقف والممارسات، المحلية منها والإقليمية، والتي تصب كلها في خانة النيل من الطائفة السنية وإضعاف دورها وموقعها في المعادلة الوطنية.

ولعل إلقاء نظرة سريعة على ما أصاب هذه الطائفة الأساسية، والمؤسسة للكيان اللبناني، يُبين مخاطر الاستمرار في سياسة الاستهداف القاتلة، والمضاعفات الخطيرة المترتبة عليها، على سلامة النسيج الوطني اللبناني، وفي الحفاظ على أمن وحدة البلد.

امتناع أهل السنّة والجماعة عن المشاركة في حرب السنتين التي اندلعت في نيسان ١٩٧٥، وما تلاها من حروب عبثية حتى نهاية الثمانينات، لم يحل دون تعريض مدنهم وممتلكاتهم وأوقافهم للخراب والدمار، الأمر الذي انعكس سلباً على أوضاع آلاف العائلات، التي وجدت نفسها فجأة بلا معيل، بعدما فقدت مورد رزقها.

وجاءت هيمنة الميليشيات على مقدرات البلاد والعباد، لتضغط باتجاه تحجيم دور السنّة السياسي، وتراجع موقع رئيس الحكومة في القرار الرسمي.

وذهبت معظم المشاريع التي طرحت لتسوية الأزمة الداخلية إلى حدّ تجاهل الدور الفاعل لأكبر طائفة في لبنان.. إلى أن حصل مؤتمر الطائف الذي أنهى سنوات مريرة من الحروب المتتالية، وأعاد التوازن المنشود بين الطوائف، في صيغة إصلاحية نالت دعماً عربياً وغربياً واسعاً.

بروز نجم الرئيس رفيق الحريري في مطالع التسعينات، لم يوقف عمليات الاستهداف، سواء من الجانب السوري، أم من بعض الأطراف الشريكة في الوطن، التي لم تحسن تقدير مسيرة النهوض والإعمار التي قادها رجل فذ جمع بين الحماس للوطن، والصبر على الخصوم والعرقلات، لإعادة بناء ما دمرته الحرب، في أسرع وقت

ممكن.

ولــولا قــدرة رجــل الدولــة الخارقــة علــى امتـصاص الأزمـات، والتغلب علـى الـصعوبات، لمـا كانـت بـيروت تزهـو اليـوم بهـذا الوسـط العـامر، ولمـا كانـت مـشاريع البنيـة التحتيـة، مـن أوتوسـترادات ومـدارس ومستـشفيات واتـصالات متطـورة، قـد أبصرت النور في طول البلاد وعرضها.

لم تــشفع إنجــازات رفيــق الحريــري، ولا إخلاصـه لوطنـه، ولا علاقاتـه الـتي وظفهـا لمـصلحة لبنـان وسـوريا، مـن اسـتمرار التـآمر عليـه، حتـى تمكنـوا مـن تفجـير موكبـه المـصفّح ظهـيرة ذلـك اليـوم الأسـود مـن شـباط ٢٠٠٥، فكانـت إزاحـة هـذا الرجـل الاسـتثنائي عنـوان مرحلـة جديـدة، أقـسى وأعنـف، من الاستهداف ضد الطائفة السنية.

لـسنا بـوارد نـكء جـراح سـنوات الـصراع المريرة مـا بـين عـامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٩، والـتي شـهدت أسـوأ ممارسـات الاسـتهداف، الـتي كـادت تـدفع البلـد كلّـه إلى أتـون فتنـة مذهبيـة مدمـرة، لا تُبقـي ولا تـذر، لـولا لطـف العنايـة الإلهيـة، ومـساعي الأشـقاء في الإسـراع بإطفـاء الـشرارة، قبـل انـدلاع النـار الحارقـة للأخضر واليابس، في هذا البلد المعذّب.

خُـيّل لكـثيرين أن «صـلح الدوحـة» والعـودة إلى حكومـات «الوحـدة الوطنيـة» بعـد انتخابـات ٢٠٠٩، سـيعيد الأمـور إلى مجاريهـا الطبيعيـة، وتـرميم العلاقـات في الجـسم الإسـلامي، بعـدما تعرّضت له من خضات ونكسات.

ولكـن الانقـلاب علـى حكومـة الـرئيس سـعد الحريـري، وتعمّـد نـسف الحكومـة عـشية وصـوله إلى البيـت الأبـيض للقـاء الـرئيس الأميركـي، أعـاد مـشاعر الحـذر والـشك مـن سـلامة الأوضـاع مـن جديد، سـرعان مـا تحـول الـشك إلى اليقين بعـدما بـرز «الفيتـو» المعروف ضـد عـودة الحريري إلى الـسراي، والـذي أجهـض أصـحابه المحلـيين والإقليمـيين مـساعي الوساطة القطرية - التركية.

ورغـم حـرص سـعد الحريـري، ومـا يمثل بالنسبة لقيـادة الطائفـة، علـى الالتـزام بـنهج المعارضـة الـسياسية والدسـتورية، وعلـى الحفـاظ علـى أسـلوب الاعتـدال والانفتـاح في المواقـف اليوميـة، فقـد اسـتمرت عمليـات الاسـتهداف، وأخـذ تتحـو نحـو التـشدّد والعنـف أكثـر فـأكثر، خاصـة في المعـارك والمواجهـات المتكـررة في طـرابلس، وبلغـت ذروتهـا في اغتيـال اللـواء وسـام الحـسن، والتهديـدات المـستمرة لرمـوز وفاعليـات الطائفـة مـن سياسـيين ورجـال ديـن، والـتي كـان آخرهـا مـا وصـل إلى مفـتي طـرابلس والـشمال الـشيخ مالـك الـشعار، واضـطره للبقـاء خـارج البلـد منـذ نحـو أسـبوعين!

ومـا يجـري حاليـاً مـن تـصعيد نـاري يطـال شـوارع الفيحـاء الآمنـة، والبعيـدة عـن منطقـة التـوتر بـين التبانـة وبعـل محـسن، بـل وأيـضاً مـا يحـصل في دار الفتـوى منـذ فـترة، وتعميـق الانقـسام المتعمّـد بـين القيـادتين الـسياسية والدينيـة، وصـبّ الزيـت الإعلامـي علـى هـذا الخـلاف المـستجد، هـو أيـضاً جزء من حملة الاستهداف المستمرة!

لم يعـد خافيـاً، حتـى علـى أصـحاب هـذه الحمـلات المغرضـة، أن الاسـتمرار في اسـتهداف طائفـة الاعتـدال والتـسامح والانفتـاح، مـن شـأنه أن يـؤدي إلى إشـعال مـشاعر الـشباب والجيـل الـصاعد، الـذي تعمـد التيـارات المتـشددة علـى اسـتيعابه، واسـتغلال مـشاعر الإحبـاط الـسائدة في أوسـاط الطائفـة، لتـشكيل حركـات اعتراضـية شـعبوية، لا تـساعد علـى إطفـاء مـشاعر الكراهيـة، ولا تـدعم إرادات رأب الصدع المتفاقم في الجسم الإسلامي.

لم يعـد مـن الـسهل تجاهـل الغليـان الحاصـل في الـشارع الـسني، وخاصـة في صـيدا وطـرابلس، ولا مـصلحة لأحـد في اسـتمرار سياسـة الكيـد والاسـتهداف، ضـد طائفـة كانـت وسـتبقى هـي همـزة الوصـل بـين اللبنـانيين في الملمـات، وتمـسكت دائمـاً

بعرى الحكمة والاعتدال والحوار.

المطلوب العودة إلى تحكيم العقل، والتسلح برؤية استراتيجية بعيدة المدى، تتجاوز تفاصيل حدث اليوم، إلى ما هو أبعد وأعمق، وإلى كل ما له علاقة في الحفاظ على وحدة البلد أرضاً ومؤسسات، وإلى التمسك بوحدة المسلمين، التي تبقى أساس وحدة اللبنانيين، فإذا الأولى ضاعت.. الثانية انهارت!

ما يجري في المنطقة، وخاصة اليوميات الدامية في الشقيقة سوريا، يتطلب منّا جميعاً استيعاب الدروس والعِبر، لا سيما وإننا ما زلنا ندفع أثمان حروبنا العبثية أثماناً باهظة من مستقبل أجيالنا، من دون أن يتمكن فريق من الانتصار على الآخر، ومن دون أن تتمكن طائفة من إلغاء طائفة أخرى، ومن دون أن تستطيع فئة من التفرّد بقرار الوطن، دون سائر مكوناته الأخرى!

الخليج العربي وإيران

طارق الحميد - ٢٠١٢/١٢/٢٦

في الوقت الذي أصدرت فيه القمة الخليجية الثالثة والثلاثون في البحرين بيانا تضمن مطالبة إيران بالكف عن التدخل في الشؤون الداخلية لدول الخليج، أعلنت طهران عن مناورات بحرية عسكرية في الخليج من أجل «تعزيز جاهزية القوات المسلحة، واختبار المعدات العسكرية الحديثة، إضافة إلى تنظيم تكتيكات حربية جديدة»!

ورغم كل ذلك نجد أن بعضا من وكالات الأنباء تقول، إن دول الخليج تحذر إيران من التدخل «المزعوم»، ونجد بيننا من يقول إن إيران دولة صديقة، وهناك مبالغة في دورها، رغم كل ما تفعله طهران طوال العقود الثلاثة الماضية ليس في الخليج فقط، بل وفي اليمن والعراق ولبنان، وبالطبع في سوريا التي سقط فيها إلى الآن ما يفوق الثلاثة والأربعين ألف قتيل على يد نظام الطاغية الأسد وبدعم إيراني كامل. ورغم كل ذلك نجد من يشكك في دور إيران الخطير على أمن الخليج والمنطقة.

اليوم، ومع البيان الخليجي المهم، الذي صادق على قرارات مجلس الدفاع المشترك وبارك إنشاء قيادة عسكرية موحدة تقوم بالتنسيق والتخطيط والقيادة للقوات البرية والبحرية والجوية المخصصة، وكذلك إقرار الاتفاقية الأمنية المعدلة مع التأكيد على أهمية تكثيف التعاون فيما يتعلق بتبادل المعلومات بين الأجهزة الأمنية، تكون دول الخليج قد قررت المواجهة مع إيران، بعد أن أعلنتها طرفا رئيسيا في زعزعة استقرار المنطقة، والخليج تحديدا، وبشكل معلن، رغم أنه أمر كان معلوما، لكن هذه المرة سمى القادة الخليجيون الأشياء بأسمائها، فهل هذا يكفي؟

الإجابة لا! فدول الخليج ليست بحاجة لمن يذكرها بخطر إيران، وحلفائها، وكذلك المخاطر الحقيقية على الكيان الخليجي ككل، وليس النظرة الضيقة لبعض الدول الخليجية، فما هو ثابت اليوم خليجيا أن الخطر عام وليس خاصا، وأن الهدف من كل ما يدور حولهم اليوم هو النيل من استقرارهم، وأمنهم. ولذا، فالمطلوب من دول الخليج اليوم كثير، سواء كان سياسيا، أو عسكريا، أو اقتصاديا، أو ثقافيا، وحتى إعلاميا، وليس في الخليج وحده، بل في كل المنطقة، وخصوصا أن قواعد اللعبة عربيا قد تغيرت.

اليوم، لا بد من قوة عسكرية خليجية موحدة على أعلى المستويات، وفرق عالية

الجاهزية لمكافحة الإرهاب، وغرف عمليات مشتركة لتداول المعلومات، وبنك خليجي قوي ونافذ، وذلك بدلا من أن تكون المساعدات هبات، بل تكون سياسة موحدة في إقراض الأصدقاء، وبطرق تضمن عدم وقوع الأموال بيد الفاسدين، وسياسات مالية تضمن أمن الحلفاء، سواء على نطاق دول الخليج أو خارجه.

ولا بد من جهد دبلوماسي وسياسي موحد، وتنسيق سياسي متكامل، وليس التباين الصارخ الذي نراه أحيانا بين بعض أعضاء الدول الخليجية. ولا بد كذلك من إنشاء مراكز أبحاث ترصد التحديات التي تواجه دول الخليج، وتقدم رؤى، ووقائع، وليس كلاما إنشائيا وعاطفيا، مراكز تحتوي الباحثين المميزين شريطة ألا تكون مراكز حكومية صرفة.

فطالما طالبت دول الخليج إيران علنا بالكف عن التدخل في شؤونها فلا بد من إتباع ذلك بأفعال، مثل الاتحاد الذي يتطلب تفاعلا متكاملا، فطهران لا تستجيب للمطالبات، ولا للنيات الحسنة، وكل ما حولنا يقول لنا، إن القادم أصعب على مستوى الخليج، وهذا ما يجب أن ندركه.

إسرائيل تصارع إيران استخبارياً داخل حلبة أريتريا

محمد نعيم - إيلاف ٢٠١٢/١٢/١٢

كشفت معطيات موثقة صراعاً استخباراتياً بين إسرائيل وإيران في أريتريا، تستغله اسمرة لتحقيق مكاسب سياسية وعسكرية، وبحسب شركة الاستخبارات الاميركية «ستراتفور»، تضع إسرائيل محطات تنصت على جبال اريتريا، بينما يتركز النشاط الايراني في محاولة السيطرة على مضيق باب المندب، وينطوي على اهمية استخباراتية اكثر منها دفاعية تكتيكية.

رصدت معلومات امنية نشاطاً استخباراتياً للموساد الاسرائيلي في اريتريا، يهدف الى جمع اكبر قدر من المعلومات في دول القرن الأفريقي ومياه البحر الاحمر، وقال تقرير صادر عن شركة «ستراتفور» الاميركية، المتخصصة في الشؤون الاستخباراتية والتحليل الجيوسياسي الدولي، إن اريتريا باتت جبهة تتنافس على استقطابها اسرائيل وايران، إذ تحاول كلتاهما تعزيز نفوذهما في دولة الصراعات الاولى بالقرن الأفريقي.

أنشطة أمنية للموساد

ونظراً للعلاقات الدبلوماسية التي تقيمها اريتريا مع اسرائيل، تسمح حكومة اسمرة للدولة العبرية بممارسة انشطة امنية للموساد على اراضيها، والى جانب ذلك تحرص اريتريا على توطيد علاقتها بايران، لتتحول اراضيها الى جبهة، تتنافس على استقطابها حكومتا طهران وتل ابيب، بحسب تقرير الشركة الاميركية.

كما جاء في التقرير الذي نشرته صحيفة يديعوت احرونوت العبرية، أنه وفقاً لدوائر دبلوماسية رفضت الكشف عن هويتها، تضع اسرائيل طواقم عسكرية بحرية في مجموعة الجزر الاريترية «دهلك»، وفي احدى المدن المطلة على سواحل اريتريا، وفي هذه المواقع زرعت اسرائيل محطات تنصت، فضلاً عن نقاط مماثلة وضعها الموساد اعلى جبال اريتريا.

التواجد الاسرائيلي في اريتريا مكثف وعلى درجة عالية من الدقة والسرية، إذ يضم محطات تنصت في البحر الاحمر، ومنظومات إلكترونية بالغة التعقيد، لملاحقة النشاط الايراني في القارة الأفريقية، وقالت دوائر رفيعة المستوى في شركة الاستخبارات الاميركية: «إن التواجد الاستخباراتي الاسرائيلي في اريتريا قليل، لكنه مكثف وينطوي

على فائدة كبيرة».

ويؤكد احد محللي الشركة الاميركية أنه للوقوف على مصالح اريتريا التي تقف وراء التعاون مع اسرائيل، ينبغي أن نتفهم ما يشغل حكومة اسمرة، فأكثر التهديدات الامنية التي تهدد اريتريا قادمة من جارتها الجنوبية اثيوبيا، وهي الدولة التي تقيم معها اسرائيل علاقات دبلوماسية، فأريتريا حصلت على استقلالها عن اثيوبيا عام ١٩٩١، لتحسم موقعها على البحر، ومنذ هذا التاريخ اندلع القتال والمعارك بين الجارتين بشكل مباشر وغير مباشر، وكانت الهزيمة من نصيب اريتريا خلال الحرب التي اندلعت مع اثيوبيا ما بين ١٩٩٨ و ٢٠٠٠، وحصدت ارواح ما يربو على ٧٠ الف شخص، ومنذ قيام دولة اريتريا يسود التوتر على الحدود مع اثيوبيا، وتم وضع الجنود على حدود البلدين في حالة تأهب كاملة.

قمع المعارضة السياسية

وتعاني اسمرة عزلة من قبل الدولة الأفريقية، على خلفية دعمها وتأييدها بالعناصر الاسلامية في الصومال، كما يتهمها الغرب بالخرق الصارخ لحقوق الانسان، وقمع نشطاء المعارضة السياسية، لذلك بحسب تقرير الشركة الاميركية تتوجه اريتريا ناحية دول الشرق الاوسط، وترغب في استغلال اسرائيل للتأثير على الولايات المتحدة حليفة اسرائيل واثيوبيا، خاصة في ما يتعلق بقرارات المجتمع الدولي حيال حكومة اسمرة.

الى ذلك ترغب اسمرة في تطوير منظوماتها الدفاعية الجوية، لمجابهة أي هجوم محتمل من قبل اثيوبيا، بالإضافة الى أن الحكومة الاريترية تعتبر أن التعاون مع اسرائيل هو الطريق الأمثل لخلق توازن في علاقاتها المتشعبة مع ايران.

ويعدد التقرير النشاط الاستخباراتي لعدد من الدول الاقليمية داخل اريتريا، فإلى جانب اسرائيل وايران، ألمح الى السعودية ومصر وقطر، مشيراً الى أن تلك الدول ترتبط بعلاقات وطيدة مع الدولة الأفريقية الصغيرة، كما اشار التقرير الى أن ايران وقعت مع حكومة اسمرة اتفاقاً يخوّل طهران التواجد الامني في مدينة اساب، وهي المدينة البحرية التي تعد مركزاً تجارياً في اريتريا، وفي مقابل ذلك حصلت اريتريا على دعم مادي ولوجستي وعسكري من الدولة الفارسية.

الانشطة الايرانية في اريتريا ترتبط بحسب تقديرات التقرير بتطلعات طهران الكبيرة، وهي السيطرة على مضيق باب المندب جنوب البحر الاحمر، على الرغم من ذلك يشير التقرير الى أنه على بعد كيلومترات معدودة من مدينة اساب الاريترية، تتواجد العديد من سفن الدول الغربية، لمكافحة القراصنة، كما تقيم الولايات المتحدة وفرنسا قواعد لها في جيبوتي المجاورة لاريتريا، لذلك ينطوي التواجد الايراني في اريتريا على اهمية استخباراتية اكثر منها دفاعية تكتيكية.

لماذا الحساسية من القطيف؟

جاسر الجاسر - الشرق السعودية ٢٠١٢/١٢/٢٥

تسود المقالات الصحافية وبعض الأخبار عن الجرائم الإرهابية في العوامية والقطيف لغة اعتذارية تحاول التبرير أن القصد ليس اتهام القطيف والعوامية بل إن الحكومة تتعامل بشكل متساوٍ مع جميع الإرهابيين، وأن الولاء ثابت ولاشك فيه وأن هذه النشاطات المجرمة لا تمس أهل القطيف أو تنعكس سلباً عليهم.

مصدر الحساسية هي أن القطيف، تحديداً، شيعية عريقة يحاول تحريضها خطاب مسيس يرتكز إلى التفرقة وأن السعودية دولة وهابية

تحارب الشيعة وتقمعهم وتضيق عليهم وتتقصدهم بالعقوبات والحرمان. وهو خطاب يجد له قبولاً عند عناصر حزب الله الشيعة الذين يروجون له بمساندة مجموعات تنشط «حقوقياً» في كل اتجاه وتنتعش عند كل تحريض أياً كان مصدره.

القطيف والعوامية وغيرهما مدن سعودية تخضع لتقسيم المناطق وكونها شيعية لا يعني أنها عبء أو عار على الوطن، بل هي جزء منه بمواطنتها وحقوقها المتصلة بالمواطنة قبل أي شيء آخر.

وظهور الإرهاب فيها أو حتى مسيرات مجموعات متطرفة شيعيا ومناصرة لولاية الفقيه يجب التعامل معها كأي نشاط مخل وبالصرامة ذاتها لأن في ذلك إخلالاً بعقد المواطنة ومستلزماته، وإرهاب الناس في حياتهم اليومية.

الذين «يربتون» على القطيف ويعتذرون إليها بأن ملاحقة الإرهابيين لا تعني نزعة استهدافها وأنها جزء من البلد إنما يسيئون إلى القطيف ذاتها ويهينون كرامة الوطن، ويخلقون شعوراً بالعزلة والإقصاء وهؤلاء هم الملكيون أكثر من الملك متوهمون أنهم يرطبون الأجواء ويمتصون الاحتقان.

القاعديون الشيعة أشرار تجب محاربتهم دون اعتذار أو تراخ وهم يفعلون ذلك لأنهم مؤدلجون كحال أشباههم قاعديي السنة.

افتتاح الجامعة الأحمدية (القاديانية) في مدينة هيس

موقع القاديانية الرسمي

افتتحت الجماعة الإسلامية الأحمدية في ألمانيا يوم الاثنين ٢٠١٢/١٢/١٧ الجامعة الأحمدية التي تعنى بتدريس الدراسات الإسلامية واللغات وذلك في مدينة هيسيان ريد، الواقعة في دارمشتات ومانيز، كما تضمن المبنى سكنًا داخليًا للطلاب متكامل الخدمات مؤلفا من ٢٨ غرفة، بالإضافة إلى ٧ صفوف للتعليم، ومطعم وشقتين لهيئة المدرسين، وقاعة اجتماعات ومكتبة، وملعباً يمكن للطلاب الاستمتاع فيه بلعب كرة القدم وكرة السلة وكرة الطائرة واليد وغيرها. وقد حظيت السيدة مبشرة الياس، وهي مهندسة معمارية أحمدية بشرف تصميم الجامعة، كما تشرف المهندس الأحمدي السيد سعيد جيسلر ببناء المشروع. وقد حضر الافتتاح أمير المؤمنين ميرزا مسرور أحمد نصره الله ضيف شرف والذي كان قد وضع حجر الأساس لهذه الجامعة في ٢٠٠٩/١٢/١٥م. وأشار حضرته في الخطاب الذي ألقاه بهذه المناسبة إلى الجهود التي بُذِلت من أجل بناء هذه الجامعة، وتحدث عن أهميتها بالنسبة للمدينة ولألمانيا وأوروبا بأكملها. ونصح الطلاب أن يكونوا سفراء حقيقيين للإسلام. وقد غطت وسائل الإعلام المحلية هذا الحدث ومنها محطتا ARD وZDF التلفزيونية المشهورتان جدًا في ألمانيا.

وتعتبر هذه الجامعة الأولى من نوعها في البلاد، من حيث أنها تُدار بشكل كامل من قبل الجماعة الإسلامية الأحمدية، وبدعم ذاتي مستقل تماماً عن أي جهة أخرى. ويدرس فيها ما بين ٨٠ إلى ١٢٠ طالبًا ليتم تأهيلهم على مدى ٧ سنوات متواصلة في مجال ترجمة القرآن الكريم والأحاديث النبوية من اللغة العربية إلى الألمانية والانجليزية وكذلك اللغة الأردية، بالإضافة إلى دراسة كتب المسيح الموعود عليه السلام وخلفائه.

والجدير بالذكر أن الجماعة الإسلامية الأحمدية قد بنت أول مسجد في ألمانيا عام ١٩٢٤، قرب جادة كرفرستندام في برلين العاصمة. ولديها الآن بفضل الله تعالى ٣٥ مسجدًا آخر على مستوى البلاد تزينها المآذن والقبب. كما افتتحت الجماعة هناك قبل أيام قليلة مسجدين

جديدين في مدينتي بفورتسهايم في ولاية بادن فورتمبيرغ وبروشسل ويعتبر ذلك إنجازًا عظيمًا حيث إن عدد أبناء الجماعة الإسلامية الأحمدية في ألمانيا حوالي ٣٠ ألفًا ضمن أربعة ملايين مسلم هناك، وهم موزعون في ٢٣٠ محافظة على مستوى البلاد.

ادفع ٥٣ دولارا تصبح «نبيا» في إسرائيل

المصريون –٢٠١٢/٢٠/٣٠

رغم أن هناك عبارة في التلمود تقول إن «لا أنبياء في العصر الحالي إلا الأطفال والمعتوهين»، إلا أن شمول هابارتزي، افتتح مدرسة في تل أبيب لما يقول إنه تعليم «النبوة».

وأطلق هابارتزي على مدرسته اسم «مدرسة قابيل وهابيل للأنبياء»، ويعلم فيها طلابه «النبوة» مقابل ٥٣ دولار (٢٠٠ شيكل إسرائيلي» وخلال ٤٠ حصة دراسية.

وهابارتزي هو مؤسس المدرسة والمعلم الوحيد فيها، كما أنه أحد أتباع حركة «تشاباد» اليهودية المتشددة التي تعرضت لانتقادات شديدة ويرجع هذا في جانب منه إلى أن أعضاءها توجوا زعيمهم الراحل الحاخام مناحم شينيرسون مهدياً منتظراً.

ولا تشترط المدرسة من روادها أن يكونوا متدينين، إذ إن طلابها يرتدون السترات الرياضية الحديثة والقمصان، ووجوههم حليقة ويحملون كمبيوترات لوحية ومعهم هواتف نقالة ذكية، تقول المدرسة إنها ستجعل من كل واحد من هؤلاء «متنبئ يهودي عصري».

وأربكت المدرسة التي بدأت فصولها هذا الشهر المنتقدين الذين استنكروا المدرسة ووصفوها بأنها «تجديف واحتيال»، خصوصاً وأن تعاليم اليهودية تنص على أن لا نبي بعد أن حطم الرومان الهيكل الثاني في القدس وحقبة النبوة لن تتجدد إلا مع وصول المسيح وإعادة بناء الهيكل.

وبخصوص المدرسة، قالت استاذة الفكر اليهودي في الجامعة العبرية في القدس ريتشل إيليور: «لا سبيل لتعليم النبوة... إنه مثل فتح مدرسة لتخريج اينشتاين أو موتسارت».

ومن بين المقررات الدراسية للطلاب في مدرسة «قابيل وهابيل للأنبياء»، مساق بعنوان «شق البحر ١٠١» وثان بعنوان «كيف تتنبأ بالمستقبل» وثالث بعنوان «مبادئ إعلان النواح»، كما يتعلم الطلاب تفسير الأحلام وتصنيف الملائكة وأسرار «الروح القدس» وكيفية تمييز المشاعر الداخلية للأفراد عن سلوكهم الخارجي ومظهرهم.

وقال هابارتزي إن المقرر الدراسي «يوفر الأدوات الرئيسية لإخراج النبي في أي شخص»، مشيراً إلى أن الناجحين سيحصلون على درجة الدبلوم.

وأشار هابارتزي إلى أنه ليس هناك عملية لقبول الطلبات فبوسع أي شخص يريد أن يتعلم كيف يصبح نبياً أن ينضم إلى المدرسة بمجرد حضور الحصص، موضحاً أن ١٢ طالباً تراوحت أعمارهم بين ١٨ و٥٠ عاماً التحقوا بها حتى الآن، وأنهم عبارة عن مزيج متباين من الناس.

وهابارتزي، البالغ من العمر ٣٤ عاماً، يتمتع بثقافة متنوعة، فهو مهندس برمجة كمبيوتر ومهاجر روسي بلحية طويلة ويرتدي الملابس السوداء لليهود المتشددين. وقال إنه كان ملحداً من قبل، وانغمس في «العلوم والتصوف والفلسفة الصينية والتنجيم والسحر الأسود والشعائر المسيحية» حتى اعتنق اليهودية.

وألـف المـواد الدراسـية مـن الكتابـات الـتي يقـول إنـه يمكـن العثـور عليهـا في أي مكتبـة دينيـة، منهـا كتـب الأنبيـاء. ولأنـه لا يوجـد نظـام تقليـدي للـدورة الدراسـية كـي يـصبح المـرء نبيـاً، فقـد اعتمـد هابـارتزي علـى تقـديره الشخـصي في وضـع المنهج.

ويعتقـد هابـارتزي مثـل آخـرين في حركـة تـشاباد أن المـسيح جـاء بالفعـل وأن عـصر الخـلاص مـن الخطايـا قريـب، ولـذا فمـن الممكـن أن يظهـر أنبياء جدد.

قصة إلحاد

فيصل بن جاسم آل ثاني – صحيفة العرب القطرية
٢٠١٣/١/٨

إنهـا قـصة صـبي ترعـرع لـسنوات عديـدة في ألمانيـا، وكـان إعجـاب هـذا الـصبي بوالـده كـبيراً، فقـد كـان والـده يهوديـاً متـديناً تتمحـور حياتـه وحيـاة أسـرته حـول الـشعائر الدينيـة، ودائمـاً مـا كـان يصحب أسرته في خشوع إلى الكنيس.

وخـلال سـنوات مراهقـة الـصبي اضـطرت العائلـة للانتقـال إلى مدينـة أخـرى ولم يكـن يوجـد بهـا كـنيس، وكـان عليـة القـوم في تلـك المدينـة مـن ساسـة ورجـال أعمـال... إلخ ينتمـون إلى الكنيسة اللوثرية وتتمحور حياتهم حولها.

وبعـد فـترة مـن اسـتقرار أسـرة الـصبي في المدينـة الجديـدة، جمـع الوالـد أسـرته وطلـب مـنهم التخلي عن معتقداتهم والالتحاق بالكنيسة اللوثرية.

لقـد صـعقت الأسـرة وسـألت الأب عـن السـبب، فكـان رده أن هـذا أنسـب لأعمالـه ومـصالحه. كـان وقـع الـصدمة شـديداً وقاسـياً، ولكنـه كـان علـى الـصبي أشـد وأقـسى، فقـد ذهـل لمـا سمـع وارتبـك وأصـابه إحبـاط وخيبـة، وشـعر بمـرارة وغـضب أرقـاه طوال حياته.

وبعـد زمـن غـادر الـصبي ألمانيـا قاصـداً إنجلـترا لأجـل الدراسـة، وهنـاك في مكتبـة المتحـف البريطـاني كـان يقـضي أيامـه في صـياغة أفكـاره الـتي ضـمنها كتابـه المحتـوي علـى فهـم مغـاير للواقـع، حيـث وصـف فيـه الـدين بأنـه أفيـون الـشعوب، وبـشر فيه بحياة لا مكان فيها للدين.

فانتـشرت أفكـاره في العـالم ودانـت بهـا شـعوب وحكومـات، واعتنقتهـا مجتمعـات كـثيرة يقارب تعدادها نصف سكان الكرة الأرضية.

أظنـك عرفـت اسـم الـصبي؛ إنـه كـارل مـاركس، مؤسـس الفكـر الـشيوعي، لقـد مـر القـرن العـشرون مـن عمـر البـشرية وهـو مـصحوب بـأكبر رواج لفكـر الإلحـاد وإنكـار وجـود الله سـبحانه وتعـالى، ممـا جعـل العـالم يـدفع ثمنـاً باهظـاً بـسبب ذلـك، لا لرجحـان بـراهين الفكـر الإلحـادي أو قـوة أدلتـه المنطقيـة، وإنمـا نتيجـة صـدمة نفـسية أصابت الصبي في الصغر.

إن الإنـسان العاقـل العـالِم بـسير التـاريخ وعواقـب الأمـور، يـدرك خطـورة المـسؤولية الأخلاقيـة الفرديـة، ويعـي أهميـة القـدوة الحـسنة، فـيحفظ أمانـة المسؤولية الملقاة على عاتقه.

وهنا تتجلى عظمة الإسلام في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحـزاب]؛ فلـم ينزل إلينا دينا ومبادئ وقيماً مجردة، وإنما أرسل محمداً أعظم بشر ليكون قدوة عملية، تترجم حياته المبادئ، وتتجلى فيها القيم بأبهى صورة وأرقى سلوك عملي، حتى قيل فيه كأنما هو قرآن يمشي على الأرض.